تبصير الحيارى

بمواقف القرضاوي

من اليهود والنصارى

تأليف

أبي نصر محمد بن عبد الله الإمام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

أما بعد:

فقد فوجئ المسلمون في يوم الأحد (٢٤/ ٢/ ١٤٢٦هـ) الموافق لـ(٣/ ٤/ ٢٠٠٥م) بترحم يوسف القرضاوي على بابا النصارى، وطلبه من الله أن يثيب بابا النصارى على ما قدم، وذلك في برنامج «الشريعة والحياة» والذي بثته قناة الجزيرة في (٣/ ٤/ ٢٠٠٥م)! فانزعج المسلمون بذلك، واستنكروا هذا القول، وعظم عليهم وقالوا: كيف يصدر هذا من رجل يعد مرجعية عند الإخوان المسلمين ومن نحا نحوهم؟! فما كان من كثير من علماء ودعاة المسلمين إلا أن قاوموا هذا الانحراف كلٌ بحسب استطاعته وفهمه؛ فمنهم الرادّ على القرضاوي بالشريط،ومنهم المحذر منه ومن كلامه هذا في الخطب والمحاضرات، ومنهم المتصلون له المعاتبون واللائمون، وصار حديث مجالس الناس حول مقال القرضاوي، فهم بين أخذ ورد ومؤيد ومعارض، فجزى الله المسلمين خيراً على تنكرهم للباطل وأهله، وعلى الرجوع إلى الحق وإلى أهله، وإليك نص مقال القرضاوي في بابا الفاتيكان:

(فقد جرت عاداتنا في هذا البرنامج أن نتحدث عن أعلام العلماء من المسلمين حينما ينتقلون من هذه الدنيا إلى الدار الآخرة، ونحن اليوم على غير هذه العادة نتحدث عن علم ولكن ليس من أعلام المسلمين، ولكنه علم أعلام المسيحية وهو الحَبر الأعظم «البابا يوحنا بولس الثاني» بابا الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية، وأعظم رجل يشار إليه بالبنان في الديانة المسيحية، لقد توفي بالأمس وتناقلت الدنيا خبر هذه الوفاة، ومن حقنا أو من واجبنا أن نقدم العزاء إلى الأمة المسيحية وإلى أحبار المسيحية في الفاتيكان وغير الفاتيكان من أنحاء العالم، وبعضهم أصدقاء لنا لاقيناهم في أكثر من مؤتمر وأكثر من ندوة وأكثر من حوار؛ نقدم لهؤلاء العزاء في وفاة هذا الحَبر الأعظم الذي يختاره المسيحيون عادة اختياراً حراً، نحن المسلمين نحلم بمثل هذا أن يستطيع علماء الأمة أن يختاروا يعني شيخهم الأكبر أو إمامهم الأكبر اختياراً حراً وليس بتعيين من دولة من الدول أو حكومة

من الحكومات؛ نقدم عزاءنا في هذا البابا الذي كان له مواقف تذكر وتشكر له؛ ربما يعني بعض المسلمين يقول: إنه لم يعتذر عن الحروب الصليبية وما جرى فيها من مآسٍ للمسلمين كما اعتذر لليهود، وبعضهم يأخذ عليه بعض أشياء، ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه فقد طاف العالم كله وزار بلاداً، ومنها بلاد المسلمين نفسها، فكان مخلصاً لدينه، وناشطاً من أعظم النشطاء في نشر دعوته والإيمان برسالته، وكان له مواقف سياسية -يعني: تسجل له في حسناته- مثل موقفه ضد الحروب بصفة عامة، فكان الرجل رجل سلام وداعية سلام، ووقف ضد الحرب على العراق، ووقف أيضاً ضد إقامة الجدار العازل في الأرض الفلسطينية، وأدان اليهود في ذلك، وله مواقف مثل هذه يعني تذكر فتشكر.. لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما قدم من خير للإنسانية، وما خلف من عمل صالح أو أثر طيب؛ ونقدم عزاءنا للمسيحيين في أنحاء العالم ولأصدقائنا في روما، وأصدقائنا في جمعية «سانت تيديو» في روما، ونسأل الله أن يعوض الأمة المسيحية فيه خيراً.).

ومقال القرضاوي هذا إنما هو قطرة من مطرة كما يقال، وإلا فكم له من مقالات ينصر بها اليهود والنصارى تضيق منها صدور المؤمنين وتقشعر منها جلودهم، وقد اشتمل مقال القرضاوي هذا على كلمات كثيرة تجاوز فيها الحق والصواب وخالف بها السنة المطهرة والكتاب، ونقدُ كل كلمة يطول بنا المقام؛ ولكن سأذكر بعض تلك الكلمات:

الكلمة الأولى: مدح القرضاوي للبابا ومبالغته في ذلك، قال في مقاله وهو يتحدث عن البابا: (وهو الحبر الأعظم البابا يوحنا... وأعظم رجل يشار إليه بالبنان في الديانة المسيحية.

وقال أيضاً: (هذا الحبر الأعظم الذي يختاره المسيحيون عادة اختياراً حراً نحن المسلمين نحلم بمثل هذا) ووجه الخطأ في هذا المدح كالآتي:

أ- الإسلام لا يقر ما تعتقده النصارى في البابا، فقد قرر مجمع الفاتيكان عصمة البابا من الخطأ كما في «الموسوعة الميسرة» (٢/ ٩٩١) فمن المعلوم من دين الإسلام

بالضرورة أنه لا عصمة إلا للأنبياء والرسل وليس لأحدٍ من أتباعهم مهما بلغ من الخير؛ فكيف تعطى لمن عظم كفره كالبابا؛ بل لقد قال الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، فواجب علماء المسلمين أن ينكروا على الكنائس التي تجعل البابا في هذا المقام، فمدح القرضاوي للبابا ينافي التنكر لهذا الغلو الذي حرمه الإسلام وجعل أهله بسببه مشركين بالله العظيم.

ب- مدح القرضاوي هذا ينافي الحقيقة وواقع الأمر؛ لأن الفرق النصرانية ترجع إلى ثلاث فرق كبرى: الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت، والبابا المذكور لا تعترف له الفرقتان النصرانيتان «البروتستانت والأرثوذكس» بالبابوية ولا بالسلطة الروحية على جميع الكنائس، والبابا المذكور أيضاً هو أعظم الباباوات حرباً على الإسلام والمسلمين، كما سيأتي بيان هذا قريباً، فهو أحق بالذم شرعاً وعقلاً وواقعاً، فالقرضاوي قلَّب الحقائق لتنفق على ضعفاء الناس عندما جعل البابا المذكور باباً للنصارى عموماً.

ج- تمجيد القرضاوي للبابا ولطريقة النصارى في اختيارهم له وجعل المسلمين في خسارة؛ لأنهم يحلمون بها حلم ولا حقيقة لها عندهم، فتمجيده هذا ينافي ذم الإسلام لأحبار أهل الكتاب ورهبانهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٤]، وأما طريقة اختيارهم للبابا، فهي طريقة مضلة ليت القرضاوي ندّد بها، فأي خير فيها؟ وهي تخول للبابا أن يكون مشرعاً مع الله ومعبوداً سوى الله، فما هذا الإعجاب يا قرضاوي بطرق الضلالة؟ وكم صرت وأمثالك تطعنون في علماء المسلمين في قضايا هي من الإسلام، وتريدونها أن تكون كما هي عند أعدائه..

فيا سبحان الله! ألسنا في غنى عن طريق النصارى في اختيار البابا وغيره، فعندنا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الناطقة بفضل العلم الشرعي وأهله وحملته وإعطائهم منزلة عظيمة معلومة من الإسلام بالضرورة؛ حيث قرن الله شهادتهم له بالوحدانية

بشهادته، وشهادة ملائكته وجعلهم مرجعية للبشرية كلها، ألا ترى كيف صار القرضاوي مفتوناً بطرق النصارى الشركية؟

الكلمة الثانية: شهادة القرضاوي للبابا بقوله: (... وإخلاصه في نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه.. فكان مخلصاً لدينه وناشطاً من أعظم النشطاء في نشر دعوته والإيمان برسالته).

اللهم سلّم سلم! لقد تاه القرضاوي حتى بلغ به التيه إلى أن ترتفع منزلة البابا عنده؛ لأنه ناشر لديانة الكفر والشرك، والكافر متى كان أشد تفانياً على كفره كان أعظم جرماً عند ربه وأشد عذاباً ممن لم يكن كذلك، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النحل:٨٨]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الكهف:١٠٢]، وقال الرسول ﷺ لهرقل: (**وإن توليت فعليك إثم الأريسيين**) رواه البخاري (٣/ ١٠٧٤)، والأريسيون: هم أهل مملكته من الفلاحين وغيرهم ممن قلدوه، ويزداد الأمر سوءاً عند فرح القرضاوي ورضاه بنشر البابا دعوته التنصيرية للمسلمين، ومعلوم أن الفرح والرضا بهذا ذنب عظيم يخشى على صاحبه من إحباط عمله، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد:٢٨]، فأين القرضاوي ومن نحا نحوه من ملة إمام التوحيد! قال الله عنه مخاطباً قومه: ﴿ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

الكلمة الثالثة: افتخار القرضاوي بزيارة البابا بلاد المسلمين، قال وهو يتحدث عن البابا: (فقد طاف العالم كله وزار بلاد المسلمين نفسها).

قد فضح القرآن زيارة الباباوات وغيرهم من دعاة التنصير لبلاد المسلمين، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:٩٩-١٠٠]، فهذه الزيارة شؤم خطير على حكام المسلمين وشعوبهم؛ لأن زعماء التنصير في عصرنا صاروا يفرضون التنصير على المسلمين بصورة وبأخرى، وكيف لا والله قد أخبر أنهم يصدون عن سبيل الله، وسيأتي مزيد لهذا قريباً، فما بال القرضاوي يمدح البابا الذي يقود حملات لتنصير العالم الإسلامي ويجعل زيارته بركة نزلت على المسلمين، فقد قام بـ(١٠٤) رحلات إلى خارج إيطاليا زار فيها (١٢٩) بلداً، وقطع مليون و(١٦٣) ألف كيلومتر، وقدر عدد الأتباع الذين وصل إليهم بقرابة (٤٠٠) مليون، ووضع العديد من المواعظ والرسائل والوصايا التي بلغت آلاف الصفحات، ولقد كان المتوقع من القرضاوي أن يقوم بواجب الدفاع عن الإسلام ويفضح من يغالون في تقديس البابا، ولكن للأسف إذا به سابق أئمة الضلال إلى الغلو في البابا والتعظيم له، فإنا لله وإنا لله راجعون.

الكلمة الرابعة: قول القرضاوي واصفاً البابا: (وكان له مواقف سياسية-يعني تسجل له في حسناته-مثل موقفه ضد الحروب بصفة عامة، فكان الرجل رجل سلام وداعية سلام).

قلت: هذا مدح رفيع للبابا، وأنه قد فاق غيره بمواقفه السياسية، وإني ذاكر لك السياسية التي انتهجها الباباوات والبطاركة والأساقفة جملة وتفصيلاً؛ لتدرك الحقيقة أما

جملة ففي «الموسوعة الميسرة في الأديان والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٦٢٢) مقال هذا نصه: **(إن النصرانية التي يتبنّاها الفاتيكان اليوم هي النصرانية السياسية التي تريد ربط دول آسيا وأفريقيا بعجلة الغرب عن طريق نشر النصرانية بينهم وخلق جماعة من الأفكار النصرانية التي تقف أمام الإسلام والمسلمين في جميع الميادين، وفي سبيل ذلك تقاربت طوائف النصرانية واليهودية للحد من مارد الإسلام الذي بدأ يصحو من جديد)**؛ بل أعلن البابا يوحنا الثاني عام (١٩٨٢م) مخططه بضرورة تنصير العالم وقد كان إعلانه هذا أمام حشد يقارب مليونين من الأتباع كما في كتاب «تنصير العالم» (٩٥).

وأما تفصيلاً فكما يلي:

١- إرسال المنصرين إلى كثير من العالم الإسلامي، فقد ذكر إبراهيم بن سليمان الجبهان في كتابه «معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير» ص(١٩) قال: وتشير إحصائية عام (١٩٧٦م) إلى أن الكنيسة الكاثولوكية تملك في أفريقيا الجنوبية وحدها حوالي مليون ونصف كنيسة موزعة بين (روديسيا وجنوب أفريقيا ومالاوي وزامبيا وزائير وناميبيا وبوروندي) وأن مجموع الإرساليات الموجودة في (٣٨) بلداً أفريقياً يبلغ (١١١,٠٠٠) إرسالية.

«انظر أيها المسلم إلى جهود البابا الفاتيكان في تنصير المسلمين أيمدح على هذه المؤامرة، والله إن تنصير مسلم واحد لخسارة على المسلمين أعظم من ذهاب المال والبنين، وانظر إلى ما كان عليه الأوائل من أهل الإسلام من السلف الصالح؛ فقد ذكر ابن جرير الطبري (٤/ ١٠٦) قصة عظيمة قال وهو يتحدث عن فتح مصر: **(فبعث عمرو إلى صاحب الإسكندرية يعلمه الذي كتب به إليه أمير المؤمنين قال: فقال: قد فعلت. قال: فجمعنا ما في أيدينا من السبايا، واجتمعت النصارى، فجعلنا نأتي بالرجل ممن في أيدينا، ثم نخيره بين الإسلام وبين النصرانية، فإذا اختار الإسلام كبّرنا تكبيرة هي أشد من تكبيرنا حين تفتح القرية، قال: ثم نحوزه إلينا، وإذا اختار النصرانية نخرت النصارى، ثم حازوه إليهم ووضعنا عليه الجزية، وجزعنا من ذلك جزعاً شديداً حتى كأنه رجل خرج منا إليهم)**.

وقال الجبهان أيضاً ص (١٨-١٩): (ولقد قدر الكاتب التركي في كتابه «جذور الصهيونية» عدد ما طبع ووزع من نسخ العهدين القديم والجديد بواسطة إرساليات التبشير خلال مائة وخمسين عاماً بما يزيد على ألف مليون نسخة مترجمة إلى (١١٣٠) لغة عدا النشرات والمجلات)ا.هـ. هذا التوزيع في بلاد المسلمين لغرض التنصير.

٢- استخدام المستشرقين منصرين، ومن المعلوم أن المستشرقين ربتهم الدول النصرانية لمواجهة الإسلام والمسلمين، وقد قامت سياسة الباباوات بتسخير كثير من المستشرقين للتنصير إلى جانب استخدامهم لهم في التشكيك في علوم الإسلام، قال صاحب كتاب «المستشرقون والتنصير» ص(٢١): (وإن التنصير قد اتكأ كثيراً على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة لا سيما الإسلامية في موضوعنا هذا؛ وخاصة عندما اكتسب مفهوم التنصير معنى أوسع من مجرد الإدخال في النصرانية إلى تشويه الإسلام والتشكيك في الكتاب والسنة والسيرة وغيرها، فكان فرسان هذا التطور في المفهوم هم المستشرقين).

وقال أيضاً ص(٢٣): (وأن الاستشراق قد استشرى ونال رعاية الكنيسة ومباركتها.. فاتجهت الكنيسة الغربية إلى التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم، فكان التوجه إلى ما نسميه اليوم بالغزو الفكري... الذي اتخذ من الاستشراق منطلقاً له).

فتمكين المستشرقين من نشر شبهاتهم الطاعنة في الإسلام وأهله أفسد عدداً كبيراً من المسلمين خصوصاً من أبناء المدارس والجامعات والمنح والشهادات، وصارت شبهات المستشرقين سهاماً مسمومة يحارب بها الإسلام وأهله، وما كان للمستشرقين أن يفعلوا من هذا شيئاً يذكر لولا رعاية وعناية الباباوات والزعماء من النصارى لهم وبذل الأموال الطائلة في نشر كتبهم وإدخال شبههم على مستوى المناهج التعليمية.

فيا معشر المسلمين! أيجوز السكوت عمن يفعل هذا بالمسلمين؟! اللهم فاشهد.

٣- تسخير الدول النصرانية لنشر أنواع الفساد والتنصير، وعلى سبيل المثال: قال صاحب كتاب «معاول الهدم والتدمير في التنصير وفي التبشير» ص(١٩): (ولقد أوردت مجلة «المجتمع» في عددها (٢٠٤) نبأ مفاده أن خمسة وثمانين ألف قسيس يعدون الآن

إعداداً تاماً ويجهزون تجهيزاً كاملاً للقيام بهجوم شامل على الإسلام تحت المظلة الأمريكية وتطويقاً لحركة الانتعاش الإسلامي)

وقال المعلق في نفس المرجع السابق: (قال عميل سابق لوكالة الاستخبارات الأمريكية: إن المخابرات الأمريكية زوّدت «البابا بوليس السادس» بأموال لدعم أعماله الخيرية، ونسبت مجلة «بانوراما» الإيطالية إلى عميل آخر قوله: إن البابا كان واحداً من عدة أساقفة وكردينالات تلقوا أموالاً من المخابرات الأمريكية)ا.هـ «المجتمع» رقم(١٩٨).

وقال صاحب كتاب «التبشير والاستعمار» ص(٢٥٥): (ولقد قام الاستعمار والسيطرة العسكرية بدورها في نشر النصرانية) نقلاً من «التنصير.. تعريفه.. أهدافه.. وسائله.. حسرات المنصرين» ص(٨) ولقد ذكرت أشياء مما تقوم بها سفارات ومن ورائها دول عظمى من دعوة إلى الفساد والتنصير، مما تفتت الأكباد، وتدمي القلوب، وتبكي العيون، وانظر كتابي «المؤامرة الكبرى على المرأة المسلمة».

٤- استغلال الطب للتنصير، ففي تنصير الأطباء أمور وأخبار تتفتت لها الأكباد، ومن ذلك ما ذكره غير واحد، قال الدكتور عبد العزيز القاسمي في كتابه «التنصير...» (٣١): (وقد بلغت بهم - الأطباء المنصرين - في بعض المستشفيات أنهم لا يعالجون المريض إلا بعد أن يركع؛ فإذا رفض طلب منه الاعتراف بأن شفاءه في يد المسيح ويسأل المسيح الشفاء، ومن يرفض فلن يحصل إلا على وصفة خاطئة).

وقال الدكتور سعد الدين صالح في كتابه «الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام» ص (٦٩): (وأما في أفريقيا فقد كانوا يستخدمون حيلاً أخرى في التبشير، منها: أنهم كانوا يحملون البعثات الطبية في سيارات تذهب بهم إلى النجوع والكفور، وقبل ذهابها يعلنون بين الناس عن وقت حضورها، فيأتي المرضى على أمل الشفاء، ثم تصل البعثة الطبية فتجد المرضى يصرخون من الآلام فلا يلتفتون لعلاجهم وإنما يبدءون أولاً بالتبشير وقراءة الأناجيل، حتى إنه كان بعض المرضى يموتون فلا يلتفتون إليهم؛ بل يستمرون في مهمتهم الأساسية وهي الدعوة إلى النصرانية بين المرضى والموتى)ا.هـ.

٥- الاستعانة بالمنحرفين من حكام المسلمين خصوصاً المنسلخين من الإسلام كالاشتراكيين والبعثيين والعلمانيين، قالت صاحبة كتاب «تنصير العالم» وهي تتحدث عما قام به البابا يوحنا عندما أعلن إعادة تنصير العالم: (لقد استعان بكافة أتباعه من أكبر أسقف إلى أكبر علماني).

أيها القارئ! رأيت داعية السلام ورجل السلام عند القرضاوي وأمثاله ماذا صنع بالمسلمين، ولو ذكرنا لك تفاصيل كل بند لهالك الأمر أكثر وأكثر، وما ذكر ففيه البيان الكافي والحمد لله.

وخلاصة القول: أن القرضاوي غطَّى بمقاله هذا على جرائم البابا الكثيرة وأظهر للناس أنه داعية سلام ولكن هيهات هيهات أن تمر هذه الأباطيل بدون فضح لها وإزهاق بالحق.

الكلمة الخامسة: قوله: (ووقف ضد الحرب على العراق)

قلت: إظهار البابا عدم موافقته على حرب العراق لا يخدم الإسلام بشيء، واعتراضه ليس ناتجاً عن حبه للإسلام والمسلمين، وإنما كان اعتراضه على الحرب أنها قامت بدون غطاء دولي من الأمم المتحدة، ثم أين اعتراض البابا على مقولة بوش الابن: بأن الحملة على أفغانستان بدعوى محاربة الإرهاب.. إنها حملة صليبية.. وأين اعتراضه على الحروب الصليبية ضد المسلمين في كل من الاجتياح السوفيتي لأفغانستان والحرب على البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان، والحرب على العراق عام (١٩٩٠م) وقتل المسلمين في كشمير وفلسطين والفلبين؛ بل إن البابا يوحنا بولس الثاني له يد في تمزيق بلد المسلمين، فقد كان أحد الفاعلين والداعين في فصل تيمور الشرقية عن الوطن الأم أندونيسيا.

الكلمة السادسة: قوله: (ووقف أيضاً ضد إقامة الجدار العازل في الأرض الفلسطينية وأدان اليهود في ذلك).

قلت: هذا اغترار بكلام الأعداء، وحسن الظن بهم ممقوت في الشرع، فكم سُمع من مواعيد لهؤلاء انتصاراً للقضية الفلسطينية، ويتضح ما بين الحين والآخر أن أصحاب

تلك المواعيد يُعطون الضوء الأخضر لدولة اليهود بالاستمرارية في إبادة الفلسطينيين، بل لقد قام البابا يوحنا بإبداء رأيه في قضية القدس، فقال: «القدس عاصمة إسرائيل إلى الأبد» وحين أبدى هذا الرأي أعلن اليهود أن القدس عاصمة إسرائيل، وبعد مدة قصيرة أعلنت أمريكا بذلك،وقد نص صاحب كتاب «تنصير العالم» أن هذا كان بعد اتفاق بين البابا يوحنا والكيان الصهيوني.

وهل نسي القرضاوي أو جهل ما قامت به الجمعيات التنصيرية والمنظمات داخل فلسطين من مساعدة وتعاون مع اليهود؟ وهذه الجمعيات تنطلق من قبل الباباوات، أيمدح البابا بمجرد خبر سياسي ولا يدان على ما قام به من جرائم ضد المسلمين في فلسطين؟! فبأي فكر يفكر القرضاوي؟ وبأي ميزان يزن الرجال؟ وما كَثُر استهماج علماء المسلمين وحكامهم من قبل زعماء اليهود والنصارى إلا عندما رأوهم سريعي الذوبان والتأثر بكلمات جوفاء وسياسة ملعونة؛ بل إن البابا من أكبر الداعين والمؤيدين لليهود شعرنا أم لم نشعر وكيف لا وهو القائل: (اليهود إخواننا المميزون بل هم إلى حد ما إخوتنا الكبار). وهذه المقالة ذكرها عنه موقع الجزيرة نت في (٣/ ٤/ ٢٠٠٥م) نقلاً من صحيفة «لوموند الفرنسية» وعندما هلك قالت عنه الصحيفة اليهودية «يديعوت أحرونوت» في (٥/ ٤/ ٢٠٠٥م): (موت يوحنا بولس الثاني يعني موت بابا اليهود، كما قال من اقترب منه في حياته وخاصة من رافقوه في زيارته التاريخية لإسرائيل عام (٢٠٠٠م)).

الكلمة السابعة: قوله: (لا نستطيع إلا أن ندعو الله أن يرحمه).

موت البابا على الكفر متحقق لا يرتاب فيه أحدٌ، ولو قال قائل: إنه مات على الإسلام لكان من أعظم الكذب عند الجن والإنس، وإذا حصل الجزم واليقين بموته على الكفر؛ جزم بعدم جواز الترحم عليه، فالنبي ﷺ لم يترحم على من علم كفره قط، ولما أراد أن يترحم على عمه أبي طالب لأنه كان يناصره ويدافع عنه منعه الله من ذلك، فقال:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ

مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ التوبة: ١١٣]، فالآية مانعة من الترحم والاستغفار لكل من تحقق كفره عند الموت؛ فكيف لا تكون مانعة ممن هو كافر طول عمره؟ بل شديد الكفر وعظيم الصد عن سبيل الله كالبابا يوحنا بولس الثاني، وروى مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال عليه الصلاة والسلام: (**استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت**) وها هو إبراهيم عليه السلام يتبرأ من أبيه عندما تبين له كفره، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة:١١٤].

واعلم أن المفسرين كافة المتقدمين والمتأخرين سائرون على العمل بظاهر آية النهي للنبي والمؤمنين كافة في أن من ثبت كفره عند الموت أو قبل الموت لا يستغفر له ولو كان أقرب الأقربين بما في ذلك المفسرون والكتّاب المعاصرون المنحرفون كمحمد رشيد وسعيد حواء وسيد قطب وقال البقاعي في «تفسيره» (٩/ ٣٣): (ولما كان الاستغفار للمشركين أمراً عظيماً وكان فيه نوع ولاية لهم أظهر سبحانه للمؤمنين ما منّ به عليهم من عدم المؤاخذة بالإقدام عليه تهويلاً لذلك وقطعاً لما بين أوج الإيمان وحضيض الكفران بكل اعتبار)ا.هـ.

وروى مسلم رقم (٢١٤) عن عائشة رضي الله عنها قلت: يا رسول الله ! ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: (**لا ينفعه، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**). قال القاضي عياض عند شرحه لحديث شفاعة الرسول ﷺ لعمه أبي طالب: (**الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم، ولا بتخفيف عذاب؛ لكنهم بإضافة بعضهم للكفر كبائر المعاصي وأعمال الشر وأذى المؤمنين وقتل الأنبياء والصالحين يزدادون عذاباً ...**) (١/ ٥٩٧)، ونقل هذا الإجماع النووي في «شرح مسلم».

وقال في «المجموع» (٥/ ١٢٠): (وأما الصلاة على الكافر والدعاء له بالمغفرة فحرام بنص القرآن والإجماع) ونقل الإجماع على عدم انتفاع الكافر بأعماله الصالحة الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٨٢)، (٩/ ١٦٩). نقلاً من «موسوعة الإجماع» (٣/ ٩٦٤).

شبهة وجوابها:

قد يستدل من يجوز الترحم على الكفار بقول الرسول ﷺ: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

وقبل الجواب: الحديث أخرجه البخاري رقم (٣٤٧٧)، ومسلم رقم (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وابن حبان في صحيحة – كما في بذل الإحسان- رقم (٩٧٣) والطبراني في الكبير رقم (٥٦٩٤) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

وللعلماء عدة توجيهات لهذا الحديث، فمنهم من قال: إنما قاله النبي ﷺ حاكياً عن نبي من الأنبياء وعلى هذا فلا دليل فيه، ومنهم من قال: إن الرسول ﷺ عنى أن يغفر الله لقومه ذنب ما أصابوه به من شج وجهه وكسر رباعيته، فهذا من شفقته ورحمته بقومه، ولا دليل فيه، ومنهم من قال أن الرسول ﷺ علق المغفرة بإسلامهم، وهذا قوي، لأنهم كانوا أحياء، وقد أسلم منهم من أسلم، وعلى هذا فلا دليل فيه أيضاً.

وخلاصة الأمر عندي:

أن الاستدلال بهذا الحديث خارج عن محل النزاع، لأن كلامنا هنا على الترحم على من تحقق موته على الكفر، والحديث المذكور في الأحياء فانى يلتقيان.

الكلمة الثامنة: قوله في دعائه للبابا: (ويثيبه بقدر ما قدم من خير للإنسانية وما خلق من عمل صالح أو أثر طيب).

الإثابة هي الجزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر كما قاله أهل اللغة، والمناسب هنا أن يقال: إن القرضاوي عنى الخير لا الشر بدليل طلبه الرحمة للبابا، وقد تقدم في الكلام على الدعاء له بالرحمة، نقل الأدلة من القرآن والسنة وإجماع أهل العلم على أن الكافر في الآخرة لا ينتفع بشيء من أعماله الصالحة في الدنيا، وزيادة على ما سبق قال الله:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النور:٣٩]، وقال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال الله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى:٢٠]، إلى غير ذلك من الأدلة.

قال النووي في «شرح مسلم» (١٧/ ١٢٤): (أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقرباً إلى الله، وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقرباً إلى الله، مما لا يفتقر صحته إلى نية كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها) ويُذكّرني موقف القرضاوي هذا بموقف الكاتب الخائب محمود أبي رية، حكى فهمي هويدي عن أبي رية أنه حضر مجلساً لبعض المشايخ وسألهم عن أديسون مخترع المصباح الكهربائي فأخبروه أنه حيث لم ينطق بالشهادتين فهو من أهل النار فخاطبهم قائلاً: إذا كان مثل هذا الرجل العظيم وغيره من الذين وقفوا حياتهم على ما ينفع البشرية جمعاء بعلومهم ومخترعاتهم لا يمكن حسب فهمكم أن يدخلوا الجنة شرعاً لأنهم لا ينطقون بالشهادتين أفلا يمكن أن يدخلوها عقلاً بفضل الله ورحمته ما داموا يؤمنون بخالق السموات والأرض[1]. انظروا يا معشر المسلمين إلى هؤلاء الكتاب الذين جثم الجهل عليهم فأبي رية وأمثاله كثر لا يفرقون بين توحيد الربوبية الذي تعترف به جميع الأمم الكافرة وبين توحيد الألوهية الذي حاربته الأمم الكافرة وصارت كافرة بعدم قبوله.

---

(1) نقلاً من كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢٠/ ٦٤٤).

وخلاصة القول: أن الكافر إذا مات على كفره لا يدخل الجنة أبداً، ولا ينجو من النار؛ بل يخلد فيها أبد الآبدين ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦].

الكلمة التاسعة: **قوله**: (**وأسأل الله أن يعوض الأمة المسيحية فيه خيراً**).

هذه هي التعزية، والتعزية للكافر على قسمين:

الأول: أن يكون الكافر ذمياً أو مستأمناً أو مسالماً، فهذه تجوز عند بعض العلماء كأن يقول له:عليك بالصبر وبتقوى الله[1].

الثاني: الكافر الحربي فلا تجوز تعزيته، قال صاحب «الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية» (٢/ ٧٤٣): (فإن كان الكافر محارباً لله ورسوله والمؤمنين فلا تجوز تعزيته مطلقاً، ويؤخذ ذلك من فعل الرسول ﷺ وفعل أصحابه)، والبابا يوحنا كافر حربي بلا شك، والفاتيكان والكاثوليك أشد النصارى طاعة له وتنفيذاً لمؤامراته.

والقرضاوي قد تجاوز هاهنا من جهتين:

الأولى: التعزية للكافر الحربي.

والثانية: التجاوز في لفظ التعزية، كيف لا وقد قال: (وأسأل الله أن يعوّض الأمة المسيحية فيه خيراً) ومفاد مقاله أن تُعوض أمة النصارى برجل فأكثر يكون فيهم خير للنصارى، أفيجوز هذا في دين الإسلام أن يدعو المسلم ربه أن يرزق النصارى من ينشر النصرانية؟

الكلمة العاشرة: **ذكر القرضاوي النصارى في مقاله هذا بلفظ**: (**المسيحيين**) **في أكثر من ست مرات ولم يذكرهم مرة واحدة بلفظ** (**النصارى**).

وهم يكرهون لفظ النصارى؛ لأن القرآن ذكرهم بذلك ذماً لهم، والقرضاوي يسايرهم على ما يريدون، وأيضاً يرغبون في أن يقال لهم: «المبشرون» فعلى الكتّاب أن يتقيدوا بالألفاظ الشرعية، وأن يكونوا مع القرآن والسنة، فلا نرضى أن يهجر اللفظ

---

(1) انظر «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٤٣٨-٤٤٠).

الشرعي إذ أن هجرانه يؤدي إلى أن يصير استخدامه بعد مدة مستنكراً حتى من قبل بعض المسلمين، وربما جهل معرفة من هم النصارى، فالتصحيح لهذه المفاهيم مطلوب شرعي.

جهل القرضاوي بالقواعد التي يسير عليها النصارى أو تجاهله لها.

إن لزعماء النصارى قواعد إجرامية يعتمدونها في تعاملهم مع المسلمين، ومنها:

١- **يعملون بوصية كتابهم المقدس «العهد القديم» وهي: الفتك بالأعداء وإبادة الخصوم والغدر بالمخالفين.**

قال أحد الباباوات: (الغدر إثمٌ عظيم ولكن الوفاء مع المسلمين أعظم منه إثماً). انظر كيف يحملون الجرم العظيم من يفي مع المسلمين بالوعود، فهل ينتظر من الباباوات والقساوسة ومن نحا نحوهم أن يرحموا المسلمين! ويفوا لهم بأمرٍ إلا أن يشاء الله.

٢- **ما يروونه عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: (أجبروهم على اعتناق دينكم).**

وما هذه الحملات التنصيرية في العالم إلا تنفيذاً لهذه القاعدة وأمثالها.

٣- **يروون عنه أنه قال: (من ليس معي فهو علي).**

لقد صدق الله إذ يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، وكأني بالقرضاوي وأمثاله من دعاة الأحزاب يتزلفون حتى لزعماء النصارى ويتمسحون بالنصرانية لترضى عنهم، وعن أحزابهم خابوا وخسروا، أما يدركون ما أدركه المتأملون لواقع حكام المسلمين؟ فقد نفذوا مطالب إجرامية كثيرة لزعماء اليهود والنصارى، فهل رضوا عنهم أم أنهم يهددونهم ما بين الحين والآخر بالقضاء عليهم، واعتبر بما جرى من أمريكا - دمرها الله - من تهديد للدولة اليمنية والسعودية والسودان وسوريا وغيرهن بعد حادث الحادي عشر من سبتمبر عام(٢٠٠١م) ألا فلتعقلوا كلام الله وكلام رسوله ﷺ في ذم اليهود والنصارى.

٤- ينسبون إلى عيسى عليه السلام أنه قال: (لا تظنوا أني قد جئت ألقي سلاماً على الأرض ما جئت ألقي سلاماً بل سيفاً).

ما سبق من القواعد فهو من كتاب «معاول الهدم والتدمير» ص:(١٣٣).

٥- قال كميل شمعون: (إن التعايش مع الإسلام محال). وقال آخر: (إن دعوتنا إلى القتل يخولها لنا الحق والدين) المصدر الأول ص: (٣١).

وعلى كل: هذه القواعد يشهد واقع النصارى بالممارسة لها بأبشع صور التنفيذ، أيجوز بعد هذا حسن الظن بالنصارى وتبرئتهم من جرائمهم، ودع عنك تلك المقولة المشهورة المنسوبة إلى عيسى عليه السلام أنه قال: (إذا لطمك خصمك في الخد الأيمن فأدر له الخد الأيسر).

نصارى العرب يتآمرون على مصر وغيرها والقرضاوي يرى أنهم ليسوا حربيين

لقد اكتشف مخطط رهيب أعده البابا شنودة ومن معه من القساوسة والبابا شنودة من نصارى الأرثوذكس في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية في جمهورية مصر والمخطط طويل وذو بنود كثيرة نأخذ بعض الجمل منه، فمما جاء فيه: (... كذلك يجب الاهتمام بشراء الأراضي وتنفيذ القروض والمساعدات لمن يقومون بذلك لمساعدتهم على البناء) وقد أثبتت الإحصاءات الرسمية أن أكثر من (٦٠٪) من تجارة مصر الداخلية بأيدي المسيحيين، ويجب العمل على زيادة هذه النسبة، وتخطيطها في المستقبل يركز على إفقار المسلمين ونزع الثروة من أيديهم، وبالقدر الذي يؤدي إلى إثراء شعبنا - إلى قوله -: إن هذا الأمر مهم جداً وخطير بالنسبة للتخطيط المالي العام على المدى القريب والبعيد... إلى قوله: إنه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية على أن الخطة التبشيرية التي وضعت بنيت على أساس أن الهدف الذي اتفق عليه من التبشير في المرحلة القادمة هو التركيز على التبشيريين الفئات والجماعات أكثر من التبشير بين الأفراد؛ وذلك لزحزحة أكبر عدد ممكن من المسلمين عن دينهم أو التمسك به... إلى قوله: إننا يجب أن ننتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة؛ لأن ذلك في صالحنا ولن نستطيع إحراز أية مكاسب أو أي تقدم إذا

انتهت المشكلة مع إسرائيل سواء بالسلم أو بالحرب... إلى قوله: (وقد وضعت المطالب التي سيقدمونها إلى الحكومة المصرية، وهي:

أ- أن يصبح مركز البابا الرسمي في البروتوكول السياسي بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء.

ب- أن يخصص لهم ثمانية وزارات في الوزارة.

ج- أن يحدد لهم ربع القيادات العليا في الجيش والبوليس.

د- أن يخصص لهم ربع القيادات المدنية كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين ووكلاء الوزارات والمدراء ورؤساء مجالس هذه المدن.

ه- أن يؤخذ أي البابا عند شغل هذه النسبة في الوزارات والمراكز العسكرية والمدنية الرئيسية، وسيكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل.

و- أن يسمح لهم بإقامة إذاعة خاصة بهم من تمويلهم الخاص.

ز- أن يسمح له بإقامة جامعة خاصة بهم، وقد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة وهي تضم المعاهد اللاهوتية والكليات العلمية والنظرية وتُمول من مالِهم الخاص.. إلى قوله: (وفي التأريخ المعاصر عادت أكثر من بلد إلى أهلها بعد أن طردوا منها منذ قرون عديدة) نقلاً من كتاب «معاول الهدم والتدمير» (٢٤-٣١) وذكر اكتشاف مخطط آخر للنصارى العرب اكتشف في الأردن ووزعته إحدى المنظمات الإسلامية في الأردن، وفيه: (إقامة دولة صليبية ترتبط بأوثق الأواصر مع لبنان من جهةٍ، ومع الدولة الصليبية التي يخطط لإنشائها في مصر وتكون عاصمتها أسيوط ...) هذا التخطيط من نصارى العرب الجيران الذي يرى القرضاوي أنهم ليسوا محاربين للإسلام؛ ولهذا لا يحاربهم على حد زعمه؛ بل وأعظم من هذا أنه دافع عن نصارى الفاتيكان وهم أجرم وأفجر نصارى العالم كما أوضحنا هذا من قبل.

أخي القارئ! لقد أدركت أبعاد هذه المؤامرة وعظيم خطرها على المسلمين في مصر، فكيف إذا أضفت إليها أن وراء نصارى مصر الدول النصرانية، ووراء الدول الباباوات الذين ينفذ كلامهم حتمياً، أما ترى الخطر متفاقماً والشر متزايداً، فماذا يغني عن

القرضاوي وأمثاله قولهم: (إخواننا النصارى) صدق الله إذ يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠].

أيظن القرضاوي وأمثاله أن كلامهم مدحاً ودفاعاً عنهم يغير من حقدهم وعدائهم ومؤامراتهم عليكم شيئاً بل اعتبروا أن كلامكم سيستغلونه استغلالاً لا ترتضونه؛ فإذا وجد من يتكلم عليهم ويحذر من بوائقهم صكوا وجهه بكلامكم وسلطوكم على بعضكم بعضاً، وهم يسعون للقضاء على الجميع ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكلام القرضاوي المتقدم ذكره ليس خاصاً بالبابا يوحنا فقط، فمنهج القرضاوي وموقفه من اليهود والنصارى موقف مُخزٍ ومشين، وله كلمات وتصريحات تدل على ضلاله وانحرافه فمن ذلك:

القرضاوي يزعم أن المسلمين والنصارى إخوة.

القرضاوي يجعل النصارى إخواناً للمسلمين والمؤمنين قال في كتاب «فتاوى معاصرة» (٢/ ٦٦٨): (إن بعض ما نراه من التعصب لدين بعض المسلمين قد يكون رد فعل لتعصب آخر من إخوانهم ومواطنين من غير المسلمين).

وقال أيضاً في المصدر (٢/ ٦٧٠): (إذا كان الإخوة المسيحيون يتأذون من المصطلح فليغير ويحذف)، وقال في كتابه «نحو وحدة فكرية للعاملين للإسلام» ص(٨١): (ومما لا ينساه هذا المؤتمر أن أحد إخواننا الأقباط تكلم في هذا المؤتمر ...).

قلت: الدعوة إلى الإخاء الديني دعوة أسسها في القاهرة المستشرق الشهير «لويس ماسينيون» والأب «جورج قنواتي» عام (١٩٤١م) وقد دخل فيها من يدعون الإسلام من أمثال عبده سلام الذي صار رئيساً لجمعية الإخاء الديني آنذاك وتركز هذه الدعوة على المؤاخاة بين المسلمين والنصارى وجعل عدوهم الوحيد هم الملاحدة، فالقرضاوي سائر على دعوة هؤلاء وأمثالهم، وقد سبق القرضاوي وأمثاله إلى دعوة مؤاخاة اليهود والنصارى المنافقون في عهد رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾

[الحشر:١١]، والمفسرون يقولون في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجب من ذلك، وقوله: ﴿ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ المراد بإخوانهم الأخوة في الدين واعتقاد الكفر أو الصداقة والموالاة لأنهم كانوا معهم سراً على المؤمنين).

واعلم أن الإسلام قد قطع أخوة الدين بين المسلمين والكفار حتى يدخل الكفار في الإسلام، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة:١١]، والذي عليه المفسرون أن الأخوة في الدين هي أخوة الإسلام، وأن من لم يتحقق فيه ما ذكرته الآية فليس بأخٍ للمسلمين، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠].

ولا خلاف بين علماء التفسير أن المراد بالأخوة في هذه الآية الأخوة في الدين، وأما الأحاديث فكثيرة نذكر منها ما تيّسر:

١- عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: (**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر**) رواه مسلم.

٢- وعن عقبة بن عامر أن الرسول ﷺ قال: (**المسلم أخو المسلم، ولا يحل لمسلم باع من أخيه بيعاً فيه عيب إلا بيّنه له**) رواه أحمد والحاكم.

٣- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا وأشار إلى القلب، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**) رواه الترمذي.

٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**) رواه أحمد.

فكيف تجاوز القرضاوي وأمثاله هذه الآيات والأحاديث وما عليه المسلمون ودعا إلى أخوة الكفار، فاعتبروا يا أولى الأبصار، فالإسلام جعل الرابطة بين المسلمين في أخوة الإيمان ولم يجعلها في رابطة القرابة، ومعلوم أن القرابة مخلوطة باللحم والدم، فأنّى تكون أخوة بين المسلمين والكافرين، وقد قطع الإسلام جميع روابطها؛ حتى حرّم على المسلم أن يرث الكافر والعكس، فأي خير يعود على المسلمين من إثبات أخوتهم للكفار، وأما الأضرار المتحققة بسبب هذه الأخوة المشؤومة فكثيرة، ومنها كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلمين وأعدائهم،وكفى بهذه مفسدة، وأيضاً إضعاف موالاة المؤمنين لبعضهم بعضاً؛ لأن ولاءهم يتشتت، وأيضاً يمكّن دعاة التنصير والتشكيك في الإسلام من قلوب ضعفاء الإيمان فيغرسون فيهم الأمراض المعدية والشبه المردية في أمرٍ عظيم آخر وهو أن إثبات الأخوة للكفار يتضمن عدم تكفيرهم عياذاً بالله.

وهناك شبهة قد يوردها بعض هؤلاء وهي: أن الله قد أثبت الأخوة بين عدد من الأنبياء لأقوامهم الكافرين، كقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأعراف:٦٥].

والجواب: أن هذه الأخوة أخوة نسب، وأخوة النسب والأبوة والعمومة وغير ذلك من مراتب القرابة باقية ثابتة في الشرع، ولكنها دون أخوة الإسلام.

القرضاوي يحكم لليهود والنصارى بأنهم مسلمون بالحضارة.

قال القرضاوي في كتابه «فتاوى معاصرة» (٢/ ٦٧١): (أهل الذمة من أهل الكتاب لهم وضع خاص والعرب منهم لهم وضع أخص؛ لاستغرابهم وذوبانهم في أمة العرب وتكلمهم بلغة القرآن وتشربهم للثقافة الإسلامية واشتراكهم في المواريث الثقافية والحضارية للمسلمين بصورة أكبر من غيرهم، فهم مسلمون بالثقافة والحضارة وإن كانوا مسيحيين بالعقيدة والطقوس).

وقال أيضاً في كتابه «الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه» ص(١٠١): (وأن الإسلام للمواطنين منهم ثقافة وحضارة وإن لم يكن ديناً وعقيدة).

وقد سبق القرضاوي إلى زعمه هذا بعض الملاحدة من الشيوعيين والعلمانيين، وعلى سبيل المثال ما قاله الماركسي «أحمد زكي أبو شادي» حيث قال: (إن مبادئ الإسلام نظرياً وعملياً هي أقرب ما تكون لمبادئ الحضارة الأمريكية والحياة الأمريكية تفكيراً وسلوكاً، فهل ينتبه المسلمون إلى هذه الحقيقة الراسخة فيفلحون)، ثم قال: (وليس هدفنا سوى المواءمة مع الحضارة الأمريكية الرفيعة التي هي صفوة المدنية الحديثة)[1].

قلت: ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ مسلمون بالثقافة والحضارة؛ لأن الثقافة والحضارة لا تغير من كفر الكافر شيئاً، فما هذه إلا مزاحمة منكرة من القرضاوي للإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ولا يقبل من أحدٍ سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، حيث يقال: إسلام الحضارة أجل وأنفع من إسلام التخلف ويريدون به الإسلام، قال صاحب كتاب «معاول الهدم والتدمير» ص(٢٢) تعليقاً: (من المغالطات المفضوحة التي رددها المستشرقون وتلقفتها أبواق الاستعمار أن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين، وأن النصرانية هي سبب تقدم الغرب، مع أن العكس هو الصحيح، فإن تخلف المسلمين ناتج عن تخليهم عن تعاليم الإسلام التي تعتبر العلم فريضة كل مسلم، أما تقدم الغرب فسببه تخليهم عن النصرانية التي كانت تعتبر الاكتشافات العلمية هزقطة وتجديفاً).

فكلام القرضاوي وسيلة بيد خصوم الإسلام ليطعنوا به الإسلام، ومن صالح من يعيشون في وسط المسلمين من أبناء المسلمين ولكنهم لا يريدون الإسلام الذي جاء به رسول الله، فيقول قائلهم: أنا مسلم بالبطاقة، وآخر يقول: أنا مسلم بمحل الولادة - يعني: أنه ولد في بلاد المسلمين - وآخر يقول: هو مسلم بالنسب؛ لأنه عربي، وأيضاً كلام القرضاوي فيه تدعيم للإسلام الذي يدعو إليه العلمانيون، وهو فصل الدين عن الدولة، فكلام القرضاوي المذكور آنفاً يفتح باب الطعن في الإسلام من جهة، ويرفع من ملة الكفر من جهة أخرى، ويسهل الخروج عن الإسلام من جهة ثالثة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(1) انظر «الاتجاهات العقلانية الحديثة» ص(٤٠٦).

القرضاوي يسويّ بين إيمان المسلمين وإيمان اليهود والنصارى في الجملة:

قد يفهم القارئ أني أثبت لليهود والنصارى إيمان،وليس كذلك فهم كفار لا إيمان لهم، ولكني اخترت هذا العنوان ليفهم القارئ أن القرضاوي في انحرافه هذا لم يكتف بإثبات الإيمان لليهود والنصارى حتى سوى إيمانهم بإيمان المسلمين جملة، وهاك نص كلامه قال في رسالته «الإيمان والغرب» (١٥-١٧): (إذا أردت أن تجاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه ليكون ذلك سبيلاً إلى أن تصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين... نقول: نبحث ماذا يجمع بيننا؟ نحن معاً نؤمن بالله ولو إيماناً إجمالياً، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي، نؤمن بعبادة الله والقيم الأخلاقية... فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليها يمكن أن نجمع بين المختلفين بعضهم بعضاً من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب، والمهم أيضاً أن يكون عند الآخرين مثل هذه الروح... فيعاملوننا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون منا بقدر ما نتقرب منهم) [1].

وكلام القرضاوي هاهنا يتوافق مع ما يقرره بعض العلمانيين من إثبات إيمان اليهود والنصارى؛ إلا أن العلمانيين أصرح في بيانهم لإيمان اليهود والنصارى، قال محمد عمارة: (والفرق بين من يؤمن بمحمد وبكل الرسل وبين الذين يجحدون نبوة محمد ورسالته مع توحيدهم وطاعتهم كمثل الفرق بين إيمان المؤمن الخالي من البدع وبين إيمان من تشوب البدع إيمانه) [2]، ويلزم من كلام القرضاوي التهوين من كفر اليهود والنصارى وشركهم بالله؛ بل قد صرح بعض دعاة اللحوق بالغرب بأنه لا كفر عندهم ولا شرك، قال عبد اللطيف الغزالي: (أما اليوم فلم يعد هناك شرك ولا وثنية، ولقد أصبح الدين لله وحده في وعي الدينيين، ولا شك أن إله المسلمين وإله المسيحيين وإله الناس جميعاً هو إله واحد) [3].

---

(1) نقلاً من «دعوة التقريب» (٢/ ٧٤٤).

(2) انظر «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٦٥).

(3) انظر «التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٧١).

فمقال القرضاوي تضمن تلفيقات كثيرة، وأخطرها قوله: (نحن معاً – يعني: اليهود والنصارى – نؤمن بالله ...) فهذا حكم من القرضاوي لليهود والنصارى بالإيمان الذي لا يختلف عن إيمان المسلمين جملة، ويفهم من مقال القرضاوي هذا أن عدم إيمان اليهود والنصارى ببعثة رسول الله ﷺ لا يؤثر على إيمانهم المثبت لهم من قبله، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

ولا خلاف بين المسلمين أن من أنكر بعثة الرسول ﷺ فإنه كافر، وأيضاً الذي يقر ببعثته إلى العرب فقط ولا يؤمن بعموم بعثته إلى الناس كافة يعد كافراً، وعلى ذلك إجماع المسلمين. فالإسلام الذي جاء به ﷺ والقرآن الذي أنزله الله على الرسول ﷺ كذب مفترى عندهم، ولا يزالون على هذا حتى دعاة وحدة الأديان من رهبان وأحبار اليهود والنصارى، فما تركوا شيئاً من هذا الكفر، فعلى ماذا يقع التقارب معهم إذا كان القرآن والرسول ﷺ ليسا أساساً للتقارب؟!

وأما إيمان اليهود والنصارى الذي اغتر به القرضاوي وأمثاله فقد فضحهم القرآن، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١]، وقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [آل عمران:١١٩]، وقال تعالى مخاطباً الرسول وأمته: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾

[البقرة: ١٣٦-١٣٧]، وقال الله في اليهود: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥-٧٧]، ولا يخفاك أن دعاة اليهود والنصارى يستغلون كلام القرضاوي وأمثاله في إثبات الإيمان لهم ويجعلونه حجة لهم عند أممهم ويقنعونهم به أنهم مؤمنون، فلا حاجة إلى الإيمان بمحمدٍ ﷺ وما جاء به، وأيضاً دعاة اليهود والنصارى يغررون على جهال المسلمين بأنهم ليسوا كفاراً بل مؤمنون بشهادة هؤلاء العلماء، ويطالبونهم بالدخول معهم وقبول عقائدهم وعباداتهم، وسيجعلون كلام القرضاوي ومن معه حجة على الأجيال الآتية، يفسدون بها العقول والقلوب عياذاً بالله.

ولو سلك القرضاوي وأمثاله مسلك الحق ألا وهو أن القرآن الكريم والسنة المطهرة قد أثبتا الإيمان لأفراد من أهل الكتاب حينما آمنوا بما جاء به محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢-٨٤].

القرضاوي يدعو إلى محبة اليهود والنصارى:

قال القرضاوي في كتابه «الحلال والحرام في الإسلام» ص(٣٠٧-٣٠٨): (ولعل سؤالاً يجول في بعض الخواطر أو يتردد على بعض الألسنة، وهو: كيف يتحقق البر والمودة وحسن العشرة مع غير المسلمين والقرآن نفسه ينهى عن موادة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١]، ثم قال: (والجواب أن هذه الآيات ليست على إطلاقها، ولا تشتمل كل يهودي أو نصراني أو كافر... إلى أن قال: إنما جاءت تلك الآيات في قوم معادين للإسلام محاربين للمسلمين ...).

قلت: الآيات التي تحرم مودة الكفار كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال تعالى: ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ [الممتحنة:١].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة:٢٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤]، فهذه الآيات وأمثالها تحرم مودّة الكفار عموماً سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو غيرهم، وليس فيها تخصيص الحرمة بالكفار الحربيين، فتخصيص القرضاوي الآية المذكورة بالحربيين تخصيص بدون مخصص، ومما يدل على بطلان تخصيص القرضاوي أمور:

الأول: أن عامة المفسرين لم يذكروا أن الآية خاصة بالحربيين من اليهود والنصارى وعددهم كثير.

الثاني: أن الذين ألفوا في أحكام أهل الذمة لم يجعلوا الموالاة لأهل الذمة من اليهود والنصارى جائزة؛ بل ينصون على تحريم موالاتهم، ويستدلون بالآية التي ذكرها القرضاوي وخصها بالحربيين.

الثالث: لنفرض أن الآية خاصة بالحربيين، فاليهود والنصارى في عصرنا حربيون، فنصارى مصر مثلاً محاربون للإسلام وأهله؛ بل وصل بهم الأمر إلى محاولة إقامة دولة لهم، وقد اكتشف مخطط رهيب، ذكره إبراهيم بن سليمان الجبهان وقد عقدنا له فصلاً خاصاً به في هذا الرد، فارجع إليه فإنه في غاية الأهمية.

فاتضح من هذا أن قول القرضاوي مخالف للسلف والمفسرين والعلماء، وقد استدل هو وغيره لجواز حب الكفار بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة:٨]، وليس في الآية المذكورة دليل على شرعية حب الكفار وموالاتهم، فالمفسرون على اختلاف أقوالهم في تفسيرهم للآية لم يستدلوا بها على موالاة الكافرين، فقد قال بعضهم: إنها منسوخة، والراجح عدم النسخ، وقال بعضهم: هي في النساء والصبيان والضعفة، ذكر هذا غير

واحد، واستدلوا بحديث أسماء في البخاري ومسلم أنها قالت: (إن أمي قدمت وهي مشركة أفأصلها؟ قال: (نعم صِلي أمك)، وظاهر الآية الدعوة إلى الإحسان والبر لكل الكفار الذين لم يحاربوا ولم يؤذوا المؤمنين، ولكن هناك فرق شاسع وبون كبير بين الإحسان إلى الكفار وبين الموالاة والمودة لهم، فالآية ليس فيها تجويز الودّ لهم لا من قريب ولا من بعيد، قال ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٦٠٢) وهو يتحدث عن وقف أهل الذمة للمسلمين: (فإن الله سبحانه لما نهى في أول السورة عن اتخاذ المسلمين الكفار أولياء وقطع المودة، فبين الله سبحانه أن ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنه لم ينه عن ذلك؛ بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه وكتبه على كل شيء؛ وإنما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة)، وعلى هذا فلا يصح الاستدلال بآية البر والإحسان إلى الكفار الذين لا يحاربون المؤمنين على ودّهم وحبهم، فكيف استدل بها القرضاوي على موالاة الحربيين من اليهود والنصارى.

القرضاوي يدعو المسلمين إلى نزع العداوة والبغضاء من قلوبهم على اليهود والنصارى

ومن بوائق القرضاوي المتتابعة في الانتصار لليهود والنصارى قوله وهو يتحدث عن مقومات التقارب مع اليهود والنصارى: (فتنقية العلاقات من رواسب الروح العدائية التي خلفتها الحروب الصليبية قديماً والاستعمار حديثاً وإشاعة معاني الإخاء والإنسانية والرحمة وفتح صفحة جديدة لعلاقات أنقى وأصفى) [1] ما أكثر ما دعا إلى هذا الذي قاله القرضاوي الجنود المجندة مع اليهود والنصارى من أبناء جلدتنا، فأين القرضاوي من هذا الصنف!! يا سبحان الله! أيريد القرضاوي من المسلمين أن يغمضوا أعينهم فلا يرون الدمار على المسلمين إلى الآن من قبل اليهود والنصارى؟! أيريد منهم أن يصموا آذانهم فلا يسمعوا ما ينزله اليهود والنصارى ببعض المسلمين من إبادة شاملة؟! أيطالب القرضاوي المسلمين أن ينقطعوا عن معرفة مخازي اليهود والنصارى في التاريخ التي سجلها عليهم سلف الأمة وأتباعهم؟! أتقر عينك يا قرضاوي عندما ترى المسلمين لا

(1) نقلاً من كتابه «أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» ص(١٧٦).

يغارون على دينهم وأعراضهم وأموالهم! أيريح قلبك عندما تشاهد المسلمين جهالاً يمكر أعداؤهم بهم لأنهم يحسنون بهم الظن.

وليعلم كل مسلم أن عداوة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار من لوازم لا إله إلا الله وأصل عظيم من أصول الأخوة في الإسلام، ألم يجعل الله البراءة من اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار من لوازم الإيمان به؟ بلى! فقد مُلئ القرآن بذلك، بل تضمنت سورة الفاتحة البراءة منهم، ومعلوم أن المسلمين يقرءون فيها في كل ركعة: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:٧]، وهم اليهود والنصارى باتفاق المفسرين(1).

وأيضاً: ألم يجعل الله إبراهيم خليله ومن معه أسوتنا في إعلان العداوة للكفار عموماً؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، أيطالب المسلم بنزع عداوة اليهود، وقد قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٩٨ ﴾ [البقرة:٩٨]، وقال فيهم: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ ﴾ [المائدة:٨٢]، أيدعى المسلمون إلى نزع عداوتهم للنصارى وهم شركاء اليهود في الجرائم الشركية والكفرية بالله والعدائية على المسلمين بل لحوق الضرر بالمسلمين من قبل النصارى أكثر منه بكثير قياساً على اليهود؛ ولهذا قرن الله النصارى

(1) انظر كتاب «الإجماع في التفسير» (١٣٧-١٤١).

باليهود في التحذير من موالاتهم واتباعهم؛ فقال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة:١٣٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة:١١١]، وقال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة:١٢٠]، آيات وأحاديث كثيرة، فلو قال لنا قائل: إن اليهود والنصارى قد نزعوا من قلوبهم بغض المسلمين لم نصدقهم.

ولو قالوا: إنهم لن يحاربوا ديننا لم نصدقهم؛ لأن الله قد أخبر بعداوتهم للإسلام وأهله، فكيف يدعو القرضاوي إلى مصافاتهم وأفاعيلهم الإجرامية بالمسلمين في عصرنا لا تكاد تحصر؟

إن القرضاوي وأمثاله قلبوا الأمور وإلا فالحق أن المسلمين اليوم بحاجة إلى اليقظة والحذر من مكر أعدائهم بهم وبحاجة إلى إظهار عداوتهم لهم قدر المستطاع حتى لا يطمعوا في إفسادهم، فكثير من المسلمين يعانون من ضعف ولائهم للحق وبراءتهم من أهل الباطل، فكيف بجاهلهم إذا جاء من أمثال القرضاوي يدعوهم إلى مودة اليهود والنصارى.اللهم سلم سلم.

ومن لوازم بغض اليهود والنصارى: البعد عن التشبه بهم وعن الاتباع لهم في دينهم أو عاداتهم كما هو معلوم من السنة النبوية؛ بل تواتر عن الرسول ﷺ.

وخلاصة القول: إذا لم يبغض المسلم الكفرة من يهود ونصارى فمن يبغض؟! ومن يعادي؟! فهذه الغريزة خلقها الله لهذا، وإذا لم نسخرها فيما خلقت له صرفت في عداوة المسلم من قبل أخيه المسلم ومحاربته كما هو مشاهد، فليؤخذ هذا بعين الاعتبار، ولا تعاند الفطرة وتكابر الحقائق.

دعوى القرضاوي أن القرآن يركز على مواضع الاتفاق مع اليهود والنصارى

قال القرضاوي: (نرى القرآن... يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف... ولذلك في حوار أهل الكتاب قال: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وفي الآية الأخرى: ﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [البقرة:١٣٩] يذكر الأشياء المتفق عليها، وهذا مبدأ مهم جداً)[1].

قلت: المتأمل في القرآن من ذم اليهود والنصارى ولعنهم وكفرهم وكثرة اختلافهم يجد أن هذا هو الأصل، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل:٧٦]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [المائدة:١٥]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [البقرة:١١٣]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [المائدة:٦٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾ [المائدة:٦٥]، وقال تعالى:

---

(1) نقلاً من كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٤٤).

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [آل عمران: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:٧٠] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة:١٨]، فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن القرآن أكثرَ مِنْ ذكر مخالفات اليهود والنصارى وألحق بهم اللعن؛ كمثل قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[المائدة:٧٨]، والذم الشديد بسبب غلوهم ومخالفتهم لأنبيائهم وكفرهم، فأنى يكون قول القرضاوي سداداً حين قال: (نرى القرآن يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الخلاف) وما استدل به القرضاوي على قوله ليس فيه دليل؛ لأن الآيتين تخاطبت مع المؤمنين وهم قد امتثلوا ذلك، وفي الآيتين مفاصلة لأهل الكتاب، ألا ترى أن الآية الأولى فيها: ﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ فأفرد فيها ذكر المؤمنين، والثانية فيها: ﴿ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة:١٣٦]، فالمحاورة المذكورة لأهل الكتاب ليست محصورة على ذكر الأمور المشتركة؛ بل جعلت تمهيداً لبيان ما خالفوا فيه، فهذا واضح من الآيتين فأين الثرى من الثريا؟! فالقرضاوي يتنازل في محاورته لأهل الكتاب عن أمورٍ معلومة بالضرورة من دين الإسلام.

فبعد أن أوضحنا ما قام به القرضاوي من انتصار واسع لليهود والنصارى حتى جعلهم في مقام العز والاحترام والقبول والأخوة والودّ والحب والثقة وقام بالدفاع عنهم وجعلهم دعاة السلام والأمان، أحببنا أن نوضح لك منهج القرضاوي الذي اقتنع بالسير عليه ودعا الأمة إليه، فقد قال في كتابه «الإسلام والغرب» نقلاً من كتاب «رفع اللثام» ص (٢٧) وهو يتحدث عن الطريق الذي سلكه: (هذا الطريق اسمه الوسطية الإسلامية، وهو طريق لم نبتدعه فهو يعبر عن روح الإسلام، وهو التيّار الذي أعبر عنه وجنّدتُ نفسي في السنوات الأخيرة منذ فترة للعمل من أجله، وهو تيار الوسطية الإسلامية)ا.هـ.

وقال أيضاً وهو يتحدث عن البناء: (فقد كان هذا الرجل أمة وحده في هذه الناحية حيث يتعامل مع جميع الناس؛ حتى كان بعض مستشاريه من الأقباط – أي: من النصارى - وأدخلهم في اللجنة السياسية، وكان يصطحب بعضهم في المؤتمرات، ورأى التقارب مع الشيعة، ولذلك استقبل زعماءهم في المركز العام في القاهرة - المركز العام للإخوان المسلمين - فهذا الاعتدال عندي من تأثري أيضاً من اتجاه حسن البناء ومدرسته) [1].

وقال مشيداً بمن يقتدي بهم: (إن العلاج الفذ لما عليه المسلمون من ضعفٍ وتمزقٍ وانحطاطٍ هو العودة إلى الإسلام الصحيح كما دعا إلى ذلك المجددون الأصلاء مثل جمال الدين والكواكبي ومحمد عبده ورشيد رضا وإقبال وحسن البناء وصادق الرافعي وعباس العقاد وغيرهم من المفكرين ودعاة الإصلاح) [2].

من خلال مقالاته هذه تُدرك أن القرضاوي إخواني تربّى على أيديهم، والإخوان الغالب عليهم الانحراف، وقد تركت ذكر انحرافات في القرضاوي لم أتطرق إليها ألبتة، ففيه عقلانية المعتزلة، وفيه تمشعر، وفيه تصوف، وفيه معاداة شديدة لأهل السنة، وفيه ترحيب بالتقارب مع الرافضة.

وأما انتصاره لليهود والنصارى وغيرهم فقد بينتها، فهذه الأحوال المردية في القرضاوي لا تزال عنده وعند أمثاله هي روح الإسلام وروح ما عليه السلف، فنعوذ بالله من الجرأة على محاربة الحق والانتصار للكفار، وقد فضح القرضاوي نفسه بنفسه حينما بين من يقتدي بهم في سيره هذا، وإليك بيان مختصر لحالهم:

الأول: جمال الدين المتأفغن:

وما أدراك ما جمال الدين؟! إنه رافضي إيراني وليس أفغانياً، وقد أثبت العلماء أنه كان يغير لقبه، وقد وصفه غير واحد بالزندقة، وهو الذي أنشأ الحزب الوطني الحر في مصر، وهو حزب علماني، وهو مؤسس الجمعية الماسونية، وهذا انتشر وذاع بين الناس،

---

(1) «المصدر السابق» ص (٢٦).

(2) انظر «القرضاوي في الميزان» (٢٩١-٢٩٢).

وضبط في الصحف، بل في مؤلفات منشورة[1]، وقال العفاني في «أعلام وأقزام» (١/ ٧٧) وهو يتحدث عن جمال الدين: (أنشأ الأفغاني في الإسكندرية (جمعية مصر الفتاة) ولم يكن فيها مصري حقيقي واحد، وإنما كان أغلب أعضائها من شباب اليهود ...) فهذا حال جمال الدين والقرضاوي يجعله قدوة له وداعية إصلاح. اللهم سلم سلم.

الثاني: محمد عبده المصري:

وهو تلميذ لجمال الدين الإيراني، ذكره العفّاني في كتابه «أعلام وأقزام» (١/ ٨٤-٨٩) وقال: (وكان أمل المخطط اليهودي الصليبي)، وقال: (لم يكن محمد عبده علمانياً ولكن أفكاره تمثل بلا شك حلقة وصل بين العلمانية الأوروبية والعالم الإسلامي، ومن ثم فقد باركها المخطط اليهودي الصليبي واتخذها جسراً عبر عليه إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية؛ بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة والتحاكم إلى القوانين الجاهلية المستوردة، واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية، وهو ما تم جميعه تحت ستار «الإصلاح»).

وذكر صاحب كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» والعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه «الإبطال ...» أنه أسس جمعية التقريب إلى الأديان، وقد سبق أنها دعوة ردة عن الإسلام، وقال صاحب كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» وهو يتحدث عن محمد عبده: (وتوثّقت صِلته باللوردكرومر المندوب السامي لبريطانيا أثناء احتلالها لمصر)، وذكر الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم في كتابه «عودة الحجاب» عن إتيان محمد عبده إلى مكتب المرأة النصرانية أميرة نازلي قائلا: غضبت الأميرة مما فعله قاسم أمين وقالت للشيخ محمد عبده قولاً شديداً بعد أن هددت وتوعدت). يكفيك أيها القارئ هذه الكلمات الكاشفة عن خبر محمد عبده الملقب بالإمام!! ألا فليَبْكِ المسلمون على الإسلام إذا كان حملته جمال الدين المتأفغن ومحمد عبده المصري وأمثالهما.

---

(1) انظر كتاب «دعوة جمال الدين» لمصطفى غزّال.

الثالث: عبد الرحمن الكواكبي:

قال العفّاني في كتابه «أعلام وأقزام» (١/ ٦١): (عبد الرحمن الكواكبي أول من نادى بفكرة العلمانية حسب مفهومها الأوروبي الصريح... فهذه أمم استراليا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني... دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الآخرة فقط... فلتحيا الأمة، فليحيا الوطن، فلنحيا طلقاء أعزاء).

أرحتنا يا كواكبي عندما جعلتها علمانية أوروبية خالصة ظاهرة لا كالقرضاوي الملبس يتقارب مع العلمانيين ويجعل ذلك من روح الشريعة، فسبحان من فضَحَك يا قرضاوي تارة مع العلمانيين، وتارة مع المستشرقين، وتارة مع المنصرين، وتارة مع الرافضة، ثم تقول: نحن سائرون على روح السلفية!!

الرابع: محمد رشيد رضا:

فقد ذكر غير واحد أنه متذبذب، وقد ذكر شيخنا العلامة الوادعي - رحمه الله - له انحرافات كثيرة في كتابه «ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر» انظر من ص (١٠) إلى ص (٤٤) وذكر معه شيخه محمد عبده المصري، وقال: (لا نكتفي من محمد رشيد رضا بمحاربة التقليد وهو أكبر المقلدين لجمال الدين ومحمد عبده) وقد جعله شيخنا أضر على الإسلام من جمال الدين ومحمد عبده؛ لأنه عالم يقدر على التلبيس أكثر.

وعلى كلٍ: لمحمد رشيد رضا مرحلتان:

الأولى: مع شيخه محمد عبده المصري وهذه الحالة كان فيها قطعة من شيخه.

الثانية: بعد موت شيخه، وقد تحسن في بعض الجوانب وبقيت فيه رواسب أزرت به وأبقته من جملة دعاة الضلال.

الخامس: حسن البنا:

وقد تكلم عليه العلماء، قال الألباني في سيد قطب وحسن البنا: (ليس لهما رصيد علمي ولا عملي ولا نفعٌ للمسلمين مثل ما للنووي وابن حجر وغيرهما من الأئمة الكبار، الوجه الآخر: أن النووي وابن حجر لم يدعوا إلى أخطائهما، ولم يدعوا إلى تحزب

وتكفير المجتمعات وتوحيد الصف بين الرافضة والنصارى والمجوس والفرق الضالة وبين المسلمين، ولم يتضرر من أخطائهما المجتمع، بعكس سيد قطب والبنا وغيرهما فإنهم لا يرون فرقاً بين العقائد الباطنية الفاسدة بل الكافرة وبين العقيدة الصحيحة السليمة، ولا يرون التفريق بين الرافضي والنصراني وغيرهم وبين المسلم، وقد أضروا بالمسلمين ولم يصلحوا، فقد تعصب الكثير لآرائهم المخالفة للكتاب والسنة وعادَوا أهل السنة، وهذا من أعظم الإضرار)[1]، وانحرافات البنا لا يتسع لها هذا المختصر، وقد بيّن انحرافه في دعوته العلامة أحمد النجمي في كتابه «المورد العذب الزلال» ص (١٠٩-٢٠٧) أنصح بالرجوع إليه، والفجوة بين الإخوان وأهل السنة واسعة جداً، وقد زادها توسيعاً الإخوان عندما قبلوا النظام الديمقراطي العلماني، فهم في كل وقت إلى الأسوأ.

السادس: عباس محمود العقّاد:

قال صاحب كتاب «القرضاوي في الميزان» (٢٩٢): (والعقاد المنحرف عن الإسلام). قلت: ترجم له العفّاني في كتابه «أعلام وأقزام» (١/ ٢٥٧-٢٦٣) فقال: (كل من ترجم للعقّاد يعرف ثناءه ومدحه للبهاء والبهائية، وهذه من أكبر السقطات في فكر العقاد، ثم كتابته عن عبقرية محمد ﷺ وذهوله عن الفوارق العميقة بين النبوة والعبقرية).

قلت: البهائية فرقة كافرة أكفر من اليهود والنصارى، والعقاد كاتب من كتاب العصر لكنه قد تلقى عن المستشرقين وعن الشيوعيين والعلمانيين وغيرهم فجاءت كتاباته مسمومة.

السابع: محمد إقبال:

شاعر ابتلي بالتصوف، النقشبندي واتهم بأنه من أصحاب وحدة الوجود، ووحدة الشهود، ومن انحرافاته أنه قال في النبوة: إنها ضرب من الوعي الصوفي، وله انحرافات في القدر وفي البعث، وله ثناء على مصطفى أتاتورك وأقزامه[2].

---

(1) انظر «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» ص (١٢٤-١٢٥).

(2) انظر ترجمته في كتاب «أعلام وأقزام» (٢/ ٢٩١-٣٣١).

أيها القارئ! لعلك قد أدركت من خلال بيان حال المذكورين وحال القرضاوي حقيقة الدعوة التي يحملها القرضاوي وإن خلع الشعارات والأسماء الشرعية عليها؛ فإن ذلك لا تجعلها شرعية فضلاً أن تكون سنية سلفية، وعلى هذا فالوسطية التي انتصر لها القرضاوي وجند نفسه لنشرها ليست الوسطية التي دعا إليها القرآن وسار عليها أهل السنة والجماعة، ولكنها وسطية بين الرافضة وأهل السنة، وبين العلمانيين وأهل الإسلام، وبين اليهود والنصارى وأهل الإسلام، وهذه الوسطية القرضاوية تسمى بالفكر المستنير الذي أسسه العلمانيون، وتارة بالفكر المعتدل وهو مصطلح تنادي به أمريكا وغيرها من دول الكفر، وتسمى بالدعوة الإصلاحية التي أسست في أوروبا للتخلص من دين الكنائس، وقد كان يطلق عليها «الإصلاح الحر» أي: الذي لا يتقيد بدين سماوي، وانتقلت إلى بلاد المسلمين وتقمصها العلمانيون ومن نحا نحوهم، وها هي أمريكا – دمرها الله – تطالب حكام المسلمين بالقيام بما تريده من إصلاحات في التعليم والسياسة والاقتصاد، فهل الإخوان المسلمون عندهم غيرة دينية بحيث يكشفون للأمة عن مضار هذه الإصلاحات أم أنهم سيبادرون إلى قبولها.

تسامح القرضاوي مع اليهود والنصارى وشدته على أهل السنة والجماعة:

يحمل القرضاوي حملات شنيعة على دعوة أهل السنة والجماعة، تجد هذا في كثير من كتبه، قال: (إن إحدى الآفات الكبرى التي تواجهها الساحة الإسلامية اليوم وتعطي أسلحة فعالة لجماعة العلمانية والمتغربين، وتشوش على الفكر الإسلامي المستقيم والعمل الإسلامي السليم هي هذه الفئة التي ليس لها أدنى حس بفقه المقاصد، فهي أسيرة اللفظية والحرفية والشكلية، وهم الذين سميتهم من قديم (الظاهرية الجُدُد) وإن لم يكن لهم علم بالظاهرية ولا سعة اطلاعهم، فلم يأخذوا من علامة الظاهرية ابن حزم إلا جموده أحياناً وطول لسانه، إن هؤلاء قرءوا بعض آثار الإمامين، ابن تيمية وابن القيم، ولكنهم للأسف لم يفهموها حق الفهم، ولم ينفذوا إلى أعماقها، ولم يتقدموا بمنهج

الشيخين ولا من دونهما ممن ورثهما؛ بل يقلدون بعض المعاصرين ويأخذون بجميع آرائهم)[1].

ويقول: (وقد ظلمت كلمة السلفية من أنصارها ومن خصومها على السواء، أما من أنصارها أو من يعدهم الناس ويعدون أنفسهم أيضاً أنصارها أو من كثير منهم على التحقيق فقد حصروها أو كادوا في شكليات وجدليات حول مسائل في علم الكلام أو مسائل في علم الفقه أو أخرى في علم التصوف، وعاشوا نهارهم وباتوا ليلهم ينصبون المجانيق ويقذفون بالمقاليع لمن يخالفهم في أي مسألة من هذه المسائل أو أي جزئية من هذه الجزئيات)[2].

أخي القارئ! لا غرابة أن يطعن القرضاوي فيما كان عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان مما يخالف ما هو عليه من سلوك طريق العقلانية المعتزلية، فكيف إذا صار القرضاوي يلتقي مع دعاة العلمانية بل مع المستشرقين والمنصرين ويتلقى عنهم؟! فقد رأيت أخي القارئ كم تأثر بدعاة وحدة الأديان من خلال ما بيناه في هذه الرسالة، ورأيت كم له من موافقات للعلمانيين، فهذا الانفتاح ينطمس بسببه كثير من نور النبوة.

فالمتأمل في كلام القرضاوي المتعلق بأعداء الله يحس فيه عطفاً وشفقة منه عليهم، وكيف لا وهو يقرر أن بينه وبينهم أصولاً مشتركة فهي عنده كالرحم، ومن لم يعرف بوائق القرضاوي التي ذكرها أهل العلم، ومنها ما في هذه الرسالة، ربما ظن أن القرضاوي في ذمه وطعنه في دعوة أهل السنة والجماعة مصيب أو مقارب، ولكن هيهات هيهات أن يكون مقارباً وهو يحارب سنة رسول الله ﷺ.

واعلم أن قبول شبه الأعداء لها أثر عظيم على صاحبها، وقد حذَّر النبي ﷺ منها غاية التحذير، ونفر عنها أشد التنفير، فقد روى جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: **(أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية... والذي**

---

(1) «السنة مصدراً للمعرفة والحضارة» (٢٣٤).

(2) «أولويات الحركة الإسلامية» (٩٧).

نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتّبعَني) أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧) وله طرق وشواهد يتقوى بها للاحتجاج، فإذا كان الرسول ﷺ يخاف على عمر أن يفتن بصحيفة أهل الكتاب فمن باب أولى أن نخاف على أنفسنا.

وعن عمران بن حصين أن الرسول ﷺ قال: (**من سمع منكم بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ مما يبعث به من الشبهات**) رواه أحمد (٤/ ٤٣١) وأبو داود (٤٣١٩) وابن أبي شيبة والبزار.

قال الإمام ابن بطة رحمه الله تعالى في «الإبانة» (١/ ٣٩٠): (فكرت في السبب الذي أخرج أقواماً من السنة والجماعة واضطرهم إلى البدعة والشناعة... فوجدت ذلك من وجهين: أحدهما: البحث والتنقير وكثرة السؤال عما لا يعني، ولا يضر العاقل جهله، ولا ينفع المؤمن فهمه، والآخر: مجالسة من لا تؤمن فتنته، وتفسد القلوب صحبته)ا.هـ

وانظر إلى حالة من الحالات التي فتن بها القرضاوي ألا وهي حضوره مؤتمر وحدة الأديان يدعى من قبل جهات كبيرة، فيرى أنه قد عظم عندهم، فيقول له الشيطان: لا تضيع هذه الفرصة فما نالها إلا أفراد؛ فإذا أكرم بالحضور ونودي باسمه وأغدق عليه بالمال ورأى علماء ينتسبون إلى الإسلام قد صاروا خاضعين لمطالب الأعداء لا يردون لهم طلباً، وسمع الشبهة مصاغة بكلمات تجتذب العواطف ألا يتأثر العالم بأقل من هذا؛ فكيف إذا أشيد بالعالم في الصحف وغيرها، وكيف إذا أدرج علماء اليهود والنصارى الإشادة به في كتبهم وتظاهروا بتعليق آمالهم فيه، فالذي لا يبالي بدواعي الافتتان مما ذكرنا ومما لم نذكر فهو ضحيتها؛ لأنه ما نجا من نجا إلا باليقظة والحذر والبعد عن دواعي الافتتان.

القرضاوي يهنئ دولة اليهود ويتمنى أن يكون المسلمون مثل اليهود في الانتخابات

قال القرضاوي في إحدى خطب الجمعة: (قبل أن أدع مقامي هذا أحب أن أقول كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية، العرب كانوا معلقين كل آمالهم على نجاح بيريز وقد سقط بيريز وهذا مما نحمد لإسرائيل، نتمنى أن تكون بلادنا مثل هذه البلاد من أجل مجموعة قليلة يسقط واحد، والشعب هو الذي يحكم، ليس هناك التسعات الأربع أو

التسعات الخمس النسب التي نعرفها في بلادنا (٩٩،٩٩٪) ما هذا! إنها الكذب والغش والخداع، لو أن الله عرض نفسه على الناس ما أخذ هذه النسبة، نحيّي إسرائيل على ما فعلت)[1].

هذا المقال نشر في الصحف، واستفتي أهل العلم في الحكم على القرضاوي حينما قال: (لو أن الله عرض نفسه على الناس ما أخذ هذه النسبة) فمنهم من أفتى بأن هذا القول ردة، ومنهم من قال: إنه ضلال مبين، ولا شك أنه ضلال مبين؛ لأن الله لا يحتاج إلى تصويت؛ لأنه سبحانه يقول للشيء: كن فيكون، وهو الغني الحميد، والمقال أيضاً فيه مخالفات للشرع أخرى، ومنها تحيته لدولة اليهود، وهذه التهنئة محرمة بشرع الله، قال العلامة ابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (١/ ٤٤١): (وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة من يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثماً عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدْر للدين عنده يقع في ذلك، ولا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدْعة أو كفْر فقد تعرض لمقت الله وسخطه) والانتخابات طاغوتية؛ فتهنئتهم بها من أعظم الانحراف، ويستغرب اللبيب من القرضاوي وأمثاله كيف يدَّعون أنهم يحاربون اليهود ما لا يحاربون غيرهم من كفار النصارى؛ لأنهم اغتصبوا أرض فلسطين - وهم كذلك - ثم تجد مثل هذا الكلام الذي يدل على عدم البغض لهم بغضاً ظاهراً مستمراً، وما هنا إلا ما يمنع من إظهاره واستمراريته.

* ومنها حمده دولة اليهود، لأن بيريز سقط وكأنه حصل بسقوطه انتصار الإسلام، وكأنه بسقوطه انتهى صناديد الكفر من اليهود، فالمسلمون لا يفرحون بسقوط واحد منهم وبقاء عشرات.

---

(1) نقلاً من «رفع اللثام» ص (٩٩).

* ومنها تنزيهه لليهود عن الغش والخداع في الانتخابات، ولم يأت بدليل إلا أن (بيريز) سقط و(نيتنياهو) نجح، وهذا لا يدل على عدم الغش والخداع لا من قريب ولا من بعيد، بل الذي نجزم به عموماً أنه حاصل؛ لأن الديمقراطية فتحت المجال للمتنافسين في الوصول إلى الحكم أن يستخدموا كل ما في وسعهم من وسائل دون تفريق بين وسيلة وأخرى، وهذا كافٍ في الدلالة على حصول ذلك؛ لأنهم إن كانوا متبعين لطريقة الديمقراطية فلن يتركوها لحاجتهم إليها، وإن كانوا على طريقتهم من قبل الديمقراطية وهي أنهم – أي: اليهود - أكذب خلق الله وأعظم خلق الله احتيالاً وخداعاً فليسوا بحاجة إلى الديمقراطية؛ لأنهم أسبق منها إلى ذلك.

* ومنها تمنيه للمسلمين أن يسلكوا سبيل اليهود في إقامة نظام الكفر - الديمقراطية - اللهم سلم سلم، نحن نقرأ في كل ركعة من الصلاة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة:٦-٧]، خسارة على المسلمين أن يكون في علمائهم من يتأثر بموقف من مواقف أعدائه فينقلب رأساً على عقب، فإذا به يمدح الكفار ويدافع عنهم، فكم كان في بعض كفار قريش من خصال طيبة كالكرم والشجاعة والنصرة للمظلوم والغيرة على العرض، ولم تغط شيئاً من كفرهم ولا مدحوا بشيء، بل ملئ القرآن بذمهم غاية الذم، حتى قال الله: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون:٥-٦].

القرضاوي يحضر مؤتمرات وحدة الأديان ويدعو إلى التقارب بين الإسلام واليهودية والنصرانية:

قال القرضاوي في كتابه «الإسلام والغرب» ص (٨٦): (لقد دعوت شخصياً إلى هذا الحوار في كتابي «أولويات الحركة الإسلامية» دعوت إلى الحوار مع الغرب، والحوار على المستوى الديني مع رجال الدين من الكرادلة والأساقفة والقساوسة، وإلى الحوار السياسي أيضاً مع من يصيغون القرار محاولة اللقاء بهؤلاء والاتصال بهم كما حاول هذا

مثل د/ حسن الترابي: إلى أن قال: أعتقد أن هذا الحوار على هذه المستويات الدينية والفكرية والسياسية حوار نافع ويزيل كثيراً من الغبش في الرؤية أو سوء الظن في الآخرين)، وقد شارك في عدة مؤتمرات من أجل ذلك، وقال متحدثاً عن حضوره لأحدها: (حضرت هذا العام شهر مايو الماضي مؤتمراً في موسكو وكان حول الإسلام والتفاهم بين الديانات والشعوب الأخرى، وشارك فيه مسيحيون ويهود وغيرهم من أرباب الديانات الأخرى، وفي آخر الصيف حضرت حفلاً تكريماً للقاء المسيحيين وبعض المسلمين نظّمه مجلس الكنائس للشرق الأوسط).

وقال أيضاً: في مؤتمر آخر في ألمانيا: (منذ سنوات حضرت لقاء بين مسلمين ومسيحيين في ألمانيا وكان معنا فضيلة الشيخ الغزالي وبعض الأساتذة الكبار)[1].

هذا المقال تضمّن أموراً كثيرة، ومنها:

أ- إعجاب القرضاوي بهذه المؤتمرات - التي هي في الحقيقة مؤامرات - ويفهم هذا من كلامه، وهذا الإعجاب ينافي اليقظة منه والحذر من هؤلاء، لأنهم يعقدون مؤتمراتهم للقضاء على عقائد المسلمين من جهة، والاعتراف والإقرار بصحة أديانهم الكفرية، وأيضاً: إعجابه بهم ينافي ما دعا إليه الإسلام، قال الله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٦-١٩٧].

ب- ومنها تبجحه بنفسه في حضور هذه المؤتمرات وهي حقيقة مؤامرات؛ ولكن أنّى للمفتونين كالقرضاوي أن يدركوا ذلك، ولو أدركهم ذلك، والذين يشهدون هذا المؤتمر وأمثاله يدخلون في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء:١٤٠] قال

(1) نقلاً من «رفع اللثام» ص (٥٥-٥٦).

القرطبي في «تفسيره»: (والخوض أصله في الماء، ثم استعمل بعد في غمرات الأشياء التي هي مجاهيل تشبيهاً بغمرات الماء فاستعير من المحسوس... إلى أن قال: في هذه الآية ردّ من كتاب الله عز وجل على من زعم أن الأئمة الذين هم حجج وأتباعهم لهم أن يخالطوا الفاسقين يصوبوا آراءهم تقية، وذكر الطبري عن أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه قال:لا تجالسوا أهل الخصومات؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله، قال ابن العربي: وهذا دليل على أن مجالسة أهل الكبائر لا تحل، قال ابن خويز منداد: من خاض في آيات الله تُركت مجالسته وهجر، مؤمناً كان أو كافراً، قال وكذلك: منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو ودخول كنائسهم والبيع ومجالسة الكفار وأهل البدع وألا تعتقد مودتهم ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم).

قلت: إذا كان الإسلام قد حرم مجالسة الكفار والمنافقين إذا كان في مجالسهم خلط الحق بالباطل، فمعلوم أن مؤتمرات توحيد الأديان فيها أعظم محاربة للإسلام عقيدة وعبادة وسياسة، وأخلاقاً تحت شعارات «توحيد الدين الإبراهيمي» و«توحيد الملة الإبراهيمية» وغير ذلك من الشعارات، وإن حقيقة ما تسمو إليه هذه اللقاءات هو نشر النصرانية بشكل واسع خصوصاً بين المسلمين وإليك بيان هذا:

١- البابا يصلي بالمسلمين والنصارى صلاة مشتركة كما حدث في إيطاليا بتاريخ (٢٧/ ١٠/ ١٩٨٦م) وتكررت الصلاة المشتركة باسم روح القدس، وكانت هذه أول صلاة يؤم فيها كافر مسلماً، وأول صلاة لروح القدس مع الصلاة التي جاء بها الإسلام، وقد أقيمت هذه الصلاة المشتركة في اليابان وحضرها بعض ممثلي المؤسسات الإسلامية وغيرهم من الأديان[1]، فوا أسفاه وا حسرتاه على دين المسلمين، أيصلي المسلم مع النصراني الذي يصلي لليسوع؟ أيصلي المسلم وراء النصراني البابا؟ اللهم لطفاً بعبادك من هذه الشركيات.

٢- جعل البابا القائد الروحي للأديان بما في ذلك دين الإسلام وأنه حامل رسالة «السلام العالمي» للبشرية. قلت: من رضي بهذا فهو كافر مرتد عن الإسلام، لأن الله

(1) انظر كتاب العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد «إبطال نظرية الخلط بين الأديان» (٢٤-٢٥).

أرسل إلى البشرية جمعاء محمداً ﷺ، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝ ﴾ [الفرقان:١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال رسول الله ﷺ: **(والذي نفسي بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أهل النار)** رواه مسلم عن أبي هريرة.

٣- اتخذ نشيد لوحدة الأديان يردده المسلمون أسموه «نشيد الإله الواحد رب وأب»[1].

٤- أعلن عن إصدار كتاب يجمع بين دفتيه القرآن والتوراة والإنجيل، وهذا من الكفر العظيم، أيطبع القرآن مع التوراة والإنجيل المحرفتين المنسوختين، إن هذا يعني الاعتراف بصحة كل ما في التوراة والإنجيل، وأنه حق يجب على الناس أن يقبلوه، وهذا ظاهر في الكفر، وانظر إلى هذا الموقف من رسول الله ﷺ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبيُّ ﷺ فغضب، فقال: **(أمتهوكون بها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيه، لا تسألوهم بشيء فيخبروكم بحقٍ فتكذبوا به أو باطلٍ فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)** رواه أحمد (٣/ ٣٨٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠)، والبيهقي في «الشعب» رقم (١٧٧)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦)، والدارمي رقم (٤٣٥)، وقد حسنه الألباني وغيره، وقد انتفع عمر بهذا الزجر فأمر بإحراق كتب فلاسفة اليونان التي يقال لها كتب الحكمة وغيرها من الكتب التي تدعو إلى الضلال.

٥- مبادرة جهات يهودية ونصرانية إلى بناء مساجد وكنائس ومعابد في مكان واحد وبخاصّة في رحاب الجامعات والمطارات[2].

---

(1) المصدر السابق ص (٢٦).

(2) نقلاً من كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٤/ ١٤٧٣).

وذكر المؤلف أنه رأى في أندونيسيا مجمعاً للمعابد، وهي: الإسلام والنصرانية والبوذية والهندوسية كلها داخل محيط واحد لا يفصل بينها سوى ممر صغير، ووصف إقامة مشروع يضم معابد الأديان الخمسة الكبرى في العالم، وإن بناء الكنائس والمعابد أشد جرماً من بناء المنافقين للمساجد، قال الله في المنافقين: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ١٠٧-١٠٨]، فبناء المعابد الوثنية والشركية إلى جانب المساجد من أعظم الكفر؛ لأن في ذلك الاعتراف أن المعابد بيوت الله، وأن الشرك عند اليهود والنصارى يتقرب به إلى الله، وقد أفتت اللجنة الدائمة بتكفير من رضي بذلك.

٦- فتحت مراكز في مصر وغيرها باسم «الإخاء الديني» وباسم «الصداقة الإسلامية المسيحية» وباسم «التضامن الإسلامي المسيحي...»[1].

٧- قالت صاحبة كتاب «تنصير العالم» ص (١١٣) وهي تتحدث عما قام به البابا يوحنا عندما أعلن إعادة تنصير العالم: (لقد استعان بكافة أتباعه من أكبر أسقف إلى أكبر علماني).

القرضاوي يرى أن اليهود والنصارى أتباع إبراهيم الخليل، فلنلتق معهم في خندقٍ واحد:

قال القرضاوي كما نقله عنه صاحبه في كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٨٢٤-٨٢٥): (لا مانع في الإسلام من أن يقف أتباع الديانات السماوية الذين يتبعون إبراهيم الخليل عليه السلام في خندق واحد، وقد يختلفون في بعض الأمور لكن بينهم من الأصول المشتركة ما يجمعهم ضد الذين ينادون بوحدانية الدولار ووحدة السوق ويعتبرون أن لا إله إلا المادة).

---

(1) المصدر السابق (٢٣).

ما كنت أظن أن الدفاع عن أفجر الأمم في عصرنا يبلغ بمسلم إلى هذا !!فكيف برجل محسوب من العلماء، فما أحوج الأمة إلى معرفة علمائها المتمسكين بالكتاب والسنة البعيدين عن الانفتاح للأعداء والتلاقي معهم البعيدين عن الأطماع الدنيوية، فمن تهافت ممن يدعي العلم على المناصب والمال فهو لا يبالي بما ذهب من دينه ومن صار بينه وبين أعداء الإسلام التواصل، فهو مؤسس ضلالة، ومؤجج فتنة.

أما مسألة أن اليهود والنصارى أتباع إبراهيم عليه السلام فمغالطة مكشوفة يعلمها عوام المسلمين فضلاً عن طلاب العلم والعقلاء، وهي مضاهاة من القرضاوي لليهود والنصارى عندما نسبوا إبراهيم إليهم، فردّ الله عليهم بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال ربنا في أتباع إبراهيم: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [آل عمران:٦٨]، والمفسرون عموماً يجعلون هذه الآية رداً على رؤساء اليهود الذين كانوا يدَّعون أنهم على ملة إبراهيم وأتباعه، وقال تعالى مخبراً عن اليهود والنصارى أنهم يدعون الناس إلى اليهودية والنصرانية: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ [البقرة:١٣٥] فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٥] فلو كانوا متبعين لإبراهيم ما دعوا إلى ملتهم الشركية، وقد أمرهم الله باتباع إبراهيم فأبوا حتى قال فيهم وفي أمثالهم: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة:١٣٠]، فهذا الادعاء العريض يغرر به بعض المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الدعوة إلى وحدة الأديان كفر عظيم

لقد أبان الله في كتابه الكريم أن الدعوة إلى التقارب مع اليهود والنصارى وغيرهم من كفار الأرض كفر قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ

إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[البقرة:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [آل عمران:٦٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [الجاثية:١٨]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ ﴾ [الكافرون:١-٣] وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة:١]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ [المائدة:٥١]، والحضور من أعظم الموالاة لهم،

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٩] إلى غير ذلك من الآيات التي تحذر المسلمين من التقارب مع الأعداء على حساب الإسلام، وعلى هذا نجزم بأنه لا لقاء بين المسلمين وبين اليهود والنصارى إلا على الإسلام لا غير، ونبرأ إلى الله من كل اللقاءات والمؤتمرات التي يعقدها دعاة وحدة الأديان أو التقريب بين الأديان.

تنبيه: يعبر دعاة وحدة الأديان عن هذه الدعوة بتعبيرات كثيرة، ومنها: وحدة الأديان- التقارب بين الأديان- التسامح بين الأديان- التعاون بين الأديان- السلام بين الأديان- حوار الأديان، وهذه كلها تصب في مصب واحد وتهدف إلى غاية واحدة وهي: التسليم بصحة الأديان غير الإسلام، فمن ادعى أن وحدة الأديان مجرد حوار، فهذا إما أن يكون اصطلاحاً يخصه والواقع يخالفه، وإما أنه يقوله من باب التلبيس على الناس أنه ليس هنالك وحدة أديان، وهذا الأخير يستخدمه غير واحد من المفتونين بهذه الدعوة.

الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يكونوا أعزة على الكافرين:

قال الله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:٨]، وقال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم:٩]، ومن العزة أن يسمع أعداؤنا من اليهود والنصارى وغيرهم ما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، ومن ذلك:

١- لا يقبل عند الله من الدين إلا الإسلام الذي بعث به محمداً ﷺ وغيره من الأديان باطلة.

٢- أن جميع البشرية منذ بعثة رسول الله ﷺ يجب عليها قبول ما جاء به؛ لأنه مبعوث رحمة للناس، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فمن لم يدخل في الإسلام فهو كافر في الدنيا والآخرة، ولا يقبل الله من أحدٍ غير دين الإسلام.

٣- دعوة اليهود والنصارى إلى الإسلام وبيان عظمة الإسلام وعيوب الملة اليهودية والنصرانية.

٤- الدعوة إلى معاداة الكافرين بالضوابط الشرعية.

٥- بيان أن الجهاد في سبيل الله هو الذي تنكسر به شوكة الكفار بإذن الله وبتحقيقه يتحقق العز للمسلمين بإذن الله.

٦- التصريح بكفر اليهود والنصارى.

٧- تعريف اليهود والنصارى أن القرآن الكريم قد نسخ التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب التي أنزلها الله.

٨- التصريح بأن القرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السابقة فهو الحاكم عليها، والناسخ لها.

٩- إقامة الحجة والبرهان على فساد الملة اليهودية والنصرانية.

ألا وإن المشاركة في وحدة الأديان دعوة إلى دفن ما ذكر، فأنّى للقرضاوي وأمثاله ممن قد أصابتهم حمى مؤتمر وحدة الأديان أن يدافعوا عن هذه الأسس العظيمة التي لا يقوم دين المسلم إلا بها وعليها في خطبهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾ [محمد: ٣٨].

القرضاوي يزعم أن الجهاد ضد اليهود من أجل الأرض لا من أجل الإسلام:

سئل القرضاوي من قبل صحيفة «الراية»: ما هو الموقف الإسلامي الديني من اليهود ومن غير المسلمين وأن لكم رؤيا فقهية متميزة في مثل هذه القضايا هل تميلون إلى إعلان الجهاد عامة ضد الجميع أم أن الموقف الفقهي له رؤيا خاصة؟

فأجاب قائلاً: أقول جهادنا مع اليهود ليس لأنهم يهود، بعض الإخوة الذين يكتبون في هذه القضية ويتحدثون عنها يعتبرون أننا نقاتل اليهود لأنهم يهود، ولا نرى هذا، فنحن لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة، وإنما نقاتلهم لأنهم اغتصبوا أرضنا وديارنا وأخذوها بغير حق).

وقال كما في «مجلة البيان» عدد (١٢٤): (إنا لم نحاربكم من أجل عقيدتكم اليهودية ولا عنصريتكم السامية).

وقد سبق القرضاوي إلى هذا القول حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين – رحمه الله – حيث قال كما نقل ذلك عنه محمود عبد الحليم في كتابه «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» (١/ ٤٠٩-٤١٠): (فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية، وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقاً ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت:٤٦]، وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية).

فإذا كان هذا تقرير مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فما بالك بتلامذته والمتأثرين به أمثال القرضاوي وغيره كثير، وهم بهذا مخالفون للنصوص من الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة:٢٩]، فأنت ترى أن هذه الآية تأمر بقتال أهل الكتاب بسبب كفرهم وتحليلهم ما حرم الله، وهكذا الآيات القرآنية تدعو وتحث وتأمر

بقتال الكفار من أجل إقامة دين الله، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]، وقال عليه الصلاة والسلام: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**) رواه البخاري رقم (٢٥) ومسلم رقم (١٢٨) عن ابن عمر، وقال رسول الله ﷺ: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله**) والأدلة على أنه لا قتال في الإسلام للكفار إلا من أجل دين الله أما القتال لهم من أجل الأرض فتلك طريقة الجاهلية، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة:٢٤]، وأيضاً قتال الكفار من أجل الأرض ليس قتالاً في سبيل الله فكيف يسميه الإخوان المسلمون قتالاً في سبيل الله ويطالبون الناس بدفع أموالهم لإقامة الجهاد في سبيل الله، وكيف يعدون الناس باسترداد الأرض وطرد الأعداء، والنصر لا يعطيه الله إلا لمن نصر دينه، قال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد:٧] وقال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج:٤٠]، وهؤلاء لم ينصروا الله؛ إذ أنهم تخلوا عن الشرط الأساسي وهو قوله تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾، وقول الرسول ﷺ: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا**... الحديث) وأخشى أن يكون قول القائلين: إن قتالنا لليهود هو من أجل الأرض هروباً من تكفير اليهود خصوصاً إذا ضممنا إلى هذا قولهم بإيمان أهل الكتاب وإسلامهم وأنهم على ملة إبراهيم وأنهم إخوة للمسلمين تجب محبتهم وموالاتهم، فالأعداء يقاتلوننا من أجل دينهم كما يصرحون بذلك، وأيضاً عندما يعلم أعداؤنا أن المسلمين يقاتلونهم من أجل الأرض

لا يخافون كخوفهم منهم عند أن يعلموا أنهم يقاتلون من أجل الله؛ لأنهم يعلمون أن الله ناصر دينه، ولعل القرضاوي يقول: لا حاجة لنا إلى التمسك بدين الإسلام فسنواجه أعداءنا بطريقتنا الخاصة!. فما أشبه كلامه بكلام القوميين العرب.

فخلاصة القول: أن فتوى علماء الإخوان بأنهم يقاتلون الأعداء من أجل الأرض فتوى باطلة لم يتجرأ أن يقولها علماء الرافضة ولا علماء الصوفية والله المستعان.

دفاع القرضاوي عمن ينادون بالديمقراطية وأنهم لم يخطر ببالهم رفض أحكام شريعة الإسلام

ذكر صاحب كتاب «القرضاوي في الميزان» ص(٢٧٠) أن القرضاوي قال: (وقول القائل: إن الديمقراطية تعني حكم الشعب بالشعب ويلزم منها رفض المبدأ القائل: إن الحاكمية لله، قول غير مسلم؛ فليس يلزم من المناداة بالديمقراطية رفض حاكمية الله للبشر، فأكثر الذين ينادون بالديمقراطية لا يخطر هذا ببالهم، وإنما الذي يعنونه ويحرصون عليه هو رفض الديكتاتورية المتسلطة رفض حكم المستبدين بأمر الشعب من سلاطين الجور والجبروت)ا.هـ.

الشاهد في هذا المقال قوله: (فأكثر الذين ينادون بالديمقراطية لا يخطر هذا - يعني رفض حاكمية الله - ببالهم).

انظر إلى هذه الجرأة في الدفاع عن أحزاب وزعماء يعتبرون الديمقراطية دينهم الجديد، ومن المعلوم عند من له إلمام بالديمقراطية أن أكثر من يدعو إليها ويدافع عنها ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: اليهود.

والصنف الثاني: النصارى.

وهذان الصنفان نجزم أنهم أرادوا بفرض الديمقراطية على حكام المسلمين تنحية الشريعة وإقصائها بالكلية، ولا يرتاب أحد في هذا، فصحفهم وجرائدهم وإذاعاتهم لا تتوقف عن الطعن والتنديد بأي حكومة لا تتبنى الديمقراطية؛ بل تضع أمريكا العقوبات الجسيمة على المتأخر عن قبول الديمقراطية، واعتبر بمؤاذاتها مؤخراً للدولة السعودية من أجل ذلك.

وأيضاً: الديمقراطية نفسها ناطقة بإبعاد الشريعة الإسلامية ومحاربتها، وانظر إلى ما جاءت به الديمقراطية من فرض التحزب على المسلمين وفرض الانتخابات والحكم للأغلبية في مجلس النواب ونظام الشرف والحريات التي ترعاها الديمقراطية وتكفلها، كل هذه تخالف الإسلام عقيدة ومنهاجاً وسياسة وأخلاقاً واقتصاداً، وقبل هذا اليهود لما تبنوا الديمقراطية وأظهروها بهذه الصورة جعلوها بديلاً عن دين الكنائس، وهذا ملئت به الكتب المتحدثة عن مواجهة اليهود ومن معهم من النصارى للكنائس النصرانية، واليهود يحكمون على الإسلام بنفس حكمهم على النصرانية، فإذا تقرر أن حملة الديمقراطية من اليهود والنصارى قصدوا بفرضها الخلاص من دين الكنائس فمن باب أولى يكون مقصودهم هذا ضد الشريعة المطهرة؛ لأنهم يحاربونها، وإن لم يحاربوا الكنائس فكلام القرضاوي خلاف هذه الحقائق، فأين يذهب القرضاوي بتغطيته على مالا يستره الليل، فهذا شأن من ينصر المبادئ الهدامة.

وأما الصنف الثالث: فهم العلمانيون ومن نحا نحوهم، فهؤلاء سبهم وطعنهم في الشريعة الإسلامية مسموع ومقروء، فحقدهم ومحاربتهم للشريعة المطهرة أظهر من محاربة اليهود والنصارى، ولا شك أن اليهود والنصارى وراءهم.

فالأصناف الثلاثة هم أكثر من ينادي بالديمقراطية فليتصدق القرضاوي على نفسه ويسكت عن الخوض فيما يضر به وبالمسلمين.

القرضاوي ينكر أن تكون الديمقراطية دسيسة على المسلمين

قال القرضاوي وهو يرد على من يقول بأن الديمقراطية مستوردة: (ومن الأدلة عند هذا الفريق من الإسلاميين على أن الديمقراطية مبدأ مستورد ولا صلة له بالإسلام أنها تقوم على تحكيم الأكثرية واعتبارها صاحب الحق في تنصيب الحكام وفي تسيير الأمور... فالمفروض أننا نتحدث عن الديمقراطية في مجتمع مسلم أكثره ممن يعلمون ويعقلون ويؤمنون ويشكرون ولسنا نتحدث عن مجتمع الجاحدين أو الضالين عن سبيل الله)[1].

---

(1) نقلاً من كتاب «القرضاوي في الميزان» ص (٢٧٥-٢٧٦).

في هذا المقال جعل القرضاوي الديمقراطية موجودة في المجتمع المسلم وردّ من أثبت أنها جاءتنا من قبل الأعداء، وهذه المكابرة من القرضاوي ليست بأول واحدة؛ بل صارت عادة له.

فالديمقراطية لا وجود لها في قواميس لغة العرب فضلاً عن وجود تفاصيلها، وأيضاً كل من ألف في الديمقراطية ينسبون الديمقراطية إلى اليونان القدماء كأفلاطون، وبعضهم إلى الإغريق، وكانت الديمقراطية في العصور القديمة حكماً طبقياً، وقد نشأت الديمقراطية العصرية في أوروبا مع نشوة العلمانية، ولهذا قرر غير واحد أن لا علمانية إلا بديمقراطية، وكان أول ظهورها في فرنسا عام (١٧٩١م) ثم انتشرت على المستوى العالمي، وأخذ بها كثير من الدول[1]، وكان ظهورها في أوروبا بسبب الصراع الحاصل بين العلوم المادية وما عليه أرباب الكنائس؛ فقام حملة الديمقراطية العلمانيون بإبعاد ما يسمى بالدين وبصفة خاصة أرباب الكنائس، وظهرت مقولة (فصل الدين عن الدولة)[2].

وقد ذكر غير واحد من الكتاب العصريين أن دخول الديمقراطية إلى بلاد المسلمين والعرب كانت مع الاستعمار[3]، وفي «الموسوعة الميسرة» (٢/ ٦٨٩-٦٩٢) أن دخولها إلى مصر وتركيا وبعض الدول العربية الإسلامية كان في القرن التاسع عشر وتكامل انتشارها في بلاد المسلمين في القرن العشرين، وانظر كتاب: «الديمقراطية في الميزان» ص(٦٧).

القرضاوي يقرر فصل الدين عن الدولة

لقد صار معلوماً عند الناس أن الديمقراطية تقوم على حكم الأغلبية، وبالمقابل فلا حكم للأقلية، وأصحاب الديمقراطية يحرصون على جعل الشريعة الإسلامية مع الأقلية، فعلم من هذا أن الشريعة الإسلامية منبوذة عندهم.

---

(1) انظر كتاب «الإسلاميون وسراب الديمقراطية» للرحال (١/ ٣٨-٣٩)، وكتاب «الديمقراطية في الميزان» ص(٦٧).

(2) انظر كتاب «الديمقراطية في الميزان» (٦٧).

(3) انظر كتاب: «العلمانية» للحوالي ص(٥٢).

ومن له إلمام بحقيقة الديمقراطية يعلم أنها عند العلمانيين ملتهم، سواء كانوا يهوداً أو نصارى، فهي بديلة عن تمسكهم باليهودية والنصرانية، وإن كانوا مسلمين فهي بديلة عن الإسلام، وقد نقلنا كلام بعض رءوس العلمانيين في كتابنا «تنوير الظلمات بكشف مفاسد وشبهات الانتخابات».

- ومن ذلك قولهم: (الدين لله والوطن للجميع)، وقولهم:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بـد أن يستجيب القـدر

وقولهم: (الدين علاقة بين العبد وربه)، وقد صرح بعضهم لما دعي إلى الاحتكام إلى القرآن الكريم فقال: (أنا رجل حكومي)! أي: يحكم الأمة بحكمه لا بحكم القرآن والسنة، فهذه قواعد فصل الدين عن الدولة، والديمقراطية تقوم على أربع حريات:

١- حرية العقيدة: والمراد منها أن للإنسان حريته في عقيدته، فله أن يكون يهودياً أو نصرانياً أومجوسياً، وله الحق في أن يرفض كافة الأديان ويختار ما يناسبه من علمانية واشتراكية وما شابه ذلك.

٢- حرية الرأي: والمراد منها أن المرء لا يتقّيد بشرع الله عندما يعبر عن رأيه، وله أن يعبّر بما شاء وكيف شاء ولو طعن في الدين أو سب الله رب العالمين أو رسوله الكريم، وله أن يطعن في الشريعة الإسلامية بأي طعنٍ؛ كقول العلمانيين: إن الحدود الشرعية وحشية، وإن الشريعة هي سبب تخلف المسلمين إلى غير ذلك.

٣- الحرية الشخصية: ومقتضى ذلك أن الشخص ينطلق في تلبية رغباته وشهواته كيف شاء؛ فله أن يأكل ما شاء، ولو لحم الخنزير، وله أن يشرب ما يشاء ولو شرب الخمر، وله أن يتمتع ولو بالزنا وهلمّ جرا.

٤- حرية الاقتصاد: وحقيقة ذلك استخدام كل وسيلة، وسلوك كل طريق للحصول على المال، فلا يتحاشى كذباً ولا غشاً ولا خداعاً ولا رِبا ولا رشاً ولا سلباً ولا نهباً ولا تزويراً ولا يحافظ على حق يتيم ولا أرملة ولا ضعيف ولا قريب ولا صديق، فهذه الحريات الأربع التي تقوم عليها الديمقراطية، إذا استخدمت كما أراد العدو

أتت على دين المسلم من أساسه، والمشاهد لحال من قبلوا الديمقراطية يجدهم مثلما ذكرنا، وإن كانت أمريكا - دمرها الله - لا ترضى إلا بترك الإسلام كله ظاهراً وباطناً.

ولنأت إلى دعوة القرضاوي على اعتبار النظام الديمقراطي بديلاً عن الإسلام لكن بطريقة خفية، قال: (الديمقراطية فيها ضمانات للحرية وأساليب لقمع الحكام المستبدين، وهي سياسية شرعية بابها واسع في الفقه الإسلامي، فالشورى والديمقراطية وجهان لعملة واحدة)ا.هـ. من كتاب «رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام» ص(٨٤).

ففي هذا المقال تصريح بما أشرنا إليه قبل وهو قوله في الديمقراطية: (وهي سياسية شرعية)، وأيضاً قوله: (فالشورى والديمقراطية وجهان لعملة واحدة) وما دامت الديمقراطية سياسية شرعية وشورى فلنأخذ بها؛ إذ لا مانع من ذلك عند القرضاوي وأمثاله، وإذا أخذ المسلمون بالديمقراطية بهذا الاعتبار تحقق ترك الشريعة وفصلها لوجود ما يقوم مقامها ويغني عنها على حسب ما قاله القرضاوي وأمثاله.

ونقل صاحب كتاب «القرضاوي في الميزان» ص(٢٦٠-٢٦١) عن القرضاوي أنه قال: (إن الإسلام قد سبق الديمقراطية بتقرير القواعد التي يقوم عليها جوهرها ولكنه ترك التفصيلات لاجتهاد المسلمين وفق أصول دينهم ومصالح دنياهم وتطور حياتهم بسبب الزمان والمكان وتجدد أحوال الإنسان، ومُيِّزت الديمقراطية أنها اهتدت... إلى صيغ ووسائل تعتبر اليوم أمثل الضمانات لحماية الشعوب من تسلط المتجبرين).

قلت: المقال مشتمل على مجازفات كثيرة وأرى أن المقام يضيق عن مناقشتها ولكن طفح الكيل على القرضاوي فقال:(وميزت الديمقراطية أنها اهتدت ...) فالسؤال هنا: ميزت الديمقراطية عماذا؟

الجواب: من خلال سياق كلامه هو أنه يعني تميزت عن الحكم بالشريعة في عصر السلف ومن بعده إلى عصرنا، فمفاد كلامه أن الصحابة عندما حكموا بالشريعة الإسلامية الغراء وهكذا بقية السلف لم يبلغوا في كمال إصلاح الأحوال ما بلغته الديمقراطية، وكفى بهذا ضلالاً، وفي المقال الثاني تفضيل الديمقراطية على الشريعة

الإسلامية من جهة وسائلها المصاغة حسب ظاهر كلامه، وهذا تجاوز أظن أن كثيراً من العلماء لا يتوقعونه فضلاً عن أن يقبلوه؛ إذ أن تفضيل الديمقراطية على الشريعة بوسائلها كتفضيل الديمقراطية على الشريعة بقواعدها، فليفهم هذا. وهذا مزلق خطير، ثم إني ذاكر لك من وسائل الديمقراطية التي أشاد بها القرضاوي وفضلها على الشريعة:

أ- إيجاب بناء الكتل الحزبية في داخل المجتمع المسلم، ولا يخفى على عقلاء المسلمين أن الديمقراطية توجب التحزب على من يريد الحكم، ولا شك أن هذه مكيدة بالإسلام والمسلمين من قبل أعدائهم؛ إذ أن تمزيق المسلمين إلى أحزاب متناحرة من أعظم أسباب ضعف الدول المسلمة، والأعداء في هذه الحال يتمكنون من محاربة المسلمين عن طريق هذه الأحزاب مالا يتمكنون عن طريق غيرها، أفتكون هذه الوسيلة أجل مما جاء به الإسلام من دعوة إلى وحدة الصف وسد أبواب التصدع بشتى أنواعه؟

ب- القيام بالانتخابات، وهي أظهر وسائل الديمقراطية حالياً وما أدراك ما الانتخابات، فقد بلغت مفاسدها إلى مالا يقبله عاقل من المسلمين، فقد ذكرت في كتابي «تنوير الظلمات بكشف مفاسد الانتخابات» أكثر من أربعين مفسدة، فالله يقول: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام:٥٧]، والديمقراطيون يقولون: (إن الحكم إلا للأغلبية والقاعة) وأنزلوا الإسلام إلى حضيض الديمقراطية، ورفعوا الديمقراطية إلى مقام الإسلام الرفيع، فهم يقولون في الاثنين الرأي والرأي الآخر، فجعلوا الإسلام مجرد رأي - قاتلهم الله - الرأي الآخر الديمقراطية، وجعلوها معادلة في الظاهر مفضلة عليه في حقيقة الأمر، وإلا لو كانت الشريعة عند دعاة الديمقراطية تساوي الديمقراطية لجعلوا الحكم للشريعة تارة وللديمقراطية تارة أخرى، إما مسألة بمسألة أو عشر بعشر وهلمّ جراً، وهذا أبعد على المسلمين من عين الشمس، ولهذا الديمقراطيون يقولون: الحكم للأغلبية، والأغلبية قد أعدوها هم فلا يبقى أغلبية مع الشريعة، وإن وجدت أغلبية مع الإسلام فهي مرفوضة بحكم الديمقراطية، إما أن تحل الأغلبية وتُعاد الانتخابات وإما أن يحبطوها بصورة أخرى، وإن حكم بمسألة توافق الشريعة المطهرة فليس هذا إلا من حسنات الديمقراطية في نظر العلمانيين؛ لأنها هي التي قبلت هذا، ويستغلون ذلك زاعمين أن ما لم تأت به الديمقراطية

فلا يقبل ما جاءت به الشريعة؛ لأن الديمقراطية تغني عن الشريعة لا العكس، فعلى هذا لا قيمة للشريعة الإسلامية عند الديمقراطيين، ونحن لا نقبل مغالطتهم ولن ينطلي علينا مكرهم كما انطلى على كثير من علماء الأحزاب في عصرنا وأفتوا بذلك، ومن هنا نقول: هل تكون وسيلة الانتخابات التي نحّت الشريعة وأقصتها عن العمل بها أجل من وسيلة الشورى الإسلامية لاختيار الحاكم؟

ومما يزيد ما قلت إيضاحاً هو لما قال علماء الأحزاب: إن الديمقراطية سياسة شرعية هل قبلت هذا أمريكا أم ردته؟

الجواب: قبلته، فلو كانت الديمقراطية تتفق مع الإسلام ما قبلت هذا أمريكا؛ لأنهم أرادوها ضداً له بل بديلاً عنه، وانظر كيف يرفضون الأغلبية إذا كانت في جهة الشرع، ويسارعون إلى إسقاطها وإلغائها، وبإسقاطها تلغى الشريعة، وهذا هو المتحقق ولا قوة إلا بالله، والقرضاوي وأمثاله حصروا الديمقراطية في اختيار المرشحين، مع أن الديمقراطية قوانين كثيرة تشمل نواحٍ كثيرة من أحوال الناس؛ بل يتوسعون فيها حتى يحصل التدخل في العقيدة، والأمثلة على هذا كثيرة.

وعلى سبيل المثال: نظام الشرف بين الأحزاب الذي حقيقته نظام التلف، فهذا النظام من الأنظمة التي لا تقوم الانتخابات إلا عليه، فلما نقلت الديمقراطية إلى بلاد المسلمين استخدمت أمريكا - دمرها الله - هذا النظام مع الأحزاب الداخلة في الديمقراطية، وخلاصة هذا النظام: أن الأحزاب لا تعتدي على بعضها بعضاً، وهذا فيه تكميم أفواه من لهم شيء من الغيرة على الدين، فبسببه يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعند ذلك يصول ويجول العلمانيون، ويفتح المجال للتنصير من قبل العلمانيين، وبهذا يتضح أكثر مما سبق أن الديمقراطية لم تنح الشريعة عن الحكم بها في المجالس النيابية فحسب بل تنحيها عن الوجود في عموم الحياة، ولا تزال حقيقة الديمقراطية مجهولة عند بعض المسلمين وغامضة عند آخرين، فالمواصلة لإيضاحها مطلوبة من العلماء، وبالجملة لا التقاء بين الإسلام والديمقراطية؛ فالشريعة الإسلامية دين الله الحكيم العليم الرحيم الكريم والديمقراطية قوانين الكافرين، فكما أنه لا قياس بين الخالق والمخلوق فكذلك لا

قياس بين حكم الله وحكم خلقه، ونحن من هذا على يقين وليس عندنا شك مثقال ذرة، فحملة الديمقراطية من أبناء جلدتنا عالة على الكفار، فلو ألغيت الديمقراطية افتضحوا أيما فضيحة، مع أنهم مفضوحون الآن فالحمد لله الذي عافانا من هذه الفتنة، ونسأله دوام العافية من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

القرضاوي يؤمن بقيام الأحزاب الكافرة وغيرها في ظل الدولة الإسلامية وأن وجودهم صمّام أمان:

قال القرضاوي في كتابه «فتاوى معاصرة» (٢/ ٦٥٢-٦٥٣): (إنه لا يوجد مانع شرعي في وجود أكثر من حزب سياسي داخل الدولة الإسلامية؛ إذ المنع الشرعي يحتاج إلى نص ولا نص، بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في هذا العصر؛ لأنه يمثل صمّام أمان من استبداد فرد أو فئة معينه بالحكم وتسلطها على سائر الناس وتحكمها في رقاب الآخرين... وكل ما يشترط لتكتسب هذه الأحزاب شرعية وجودها أمران أساسيان:

١- أن تعترف أن الإسلام عقيدة وشريعة ولا تعاديه أو تتنكر له وإن كان لها اجتهاد خاص في فهمه في طور الأصول العلمية المقررة.

٢- أن لا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته أياً كان اسمها وموقعها، فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية أو يطعن في الأديان السماوية عامة)[1].

وقال أيضاً: (نحن شخصياً لا نمانع أن يكون للأقباط حزب يتبنى مطالبهم وإن كان الإسلاميون الذين طالبوا بحزب إسلامي قد فتحوه للمسلمين ولغير المسلمين)[2].

وقال أيضاً: (ليس هناك بأس من تعدد الأديان وتعدد الحضارات والثقافات وأن تكون العلاقة بينهم علاقة الحوار لا علاقة الصراع).

---

(1) نقلاً من كتاب «القرضاوي في الميزان» لسليمان الخراشي ص (٢٨٢).

(2) نقلاً من كتاب «رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام» ص (١١٦).

وقال: (أن يؤمن الغرب بأن الحياة تتسع لأكثر من دين وأكثر من ثقافة وأكثر من حضارة، وأن هذا التنوع من صالح البشرية، وليس ضد مصلحتها، ولا يمكن أن تفرض حضارة واحدة أو يفرض دين واحد نفسه على العالم كله)[1].

ومقال القرضاوي اشتمل على أمور، منها:

١- إطلاقه بجواز إنشاء الأحزاب، والأحزاب التي تنشأ في بلاد المسلمين على قسمين:

الأول: أحزاب مسلمة ضالة.

الثاني: أحزاب كافرة، وسنبدأ بالرد عليه في قوله: (جاز إنشاء أحزاب سياسية مسلمة، وأنه لا نص يمنع من ذلك).

اعلم أيها المسلم أن القول بإنشاء أحزاب وإيجابها على المسلمين هو من قول زعماء اليهود والنصارى؛ إذ لا وجود لهذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يقبل عقلاً، ولا قائل به من أهل العلم، حتى جاءت الديمقراطية الشيطانية فقال بذلك من قال من علماء الأحزاب نابذين وراء ظهورهم الأدلة من كلام الله وكلام رسوله ﷺ على حرمة التحزب والتفرق، وهاك الأدلة على ذلك:

قال الله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، فهذان نصان أحدهما: أمر بالاجتماع على منهاج النبوة، والآخر: ناهٍ عن التفرق، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥-١٠٦]، فهذه الآية فيها النهي الصريح عن التفرق والحكم بأنه من أفعال الكافرين، ويترتب على الوقوع في ذلك العذاب العظيم والخزي الشديد، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١٥٦]، فأفادت الآية أن رسول الله ﷺ يتبرأ

(1) نقلاً من كتاب «رفع اللثام» ص(٧٨).

يوم القيامة من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾[الروم:٣١-٣٢]، وقد تضمّنت الآية أن التحزب والتفرق من سيما المشركين، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وبقيت آيات كثيرة ليس هذا محل بسطها.

ـ وأما السنة المطهرة فقد وردت فيها أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ، ومن أشهرها: قول الرسول ﷺ كما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل، تفرق بنو إسرائيل على اثنين وسبعين ملة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين تزيد عليهم، كلها في النار إلا ملة واحدة، فقالوا: من هذه الملة الواحدة؟ قال: (**ما أنا عليها وأصحابي**) والحديث مشهور صحيح عن جماعة من الصحابة، وقوله: (**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٧)، والترمذي رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجة رقم (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، عن العرباض بن سارية.

فانظر يا عبد الله كيف دعا الرسول ﷺ أمته إلى الاعتصام بما عليه هو وأصحابه عند كثرة التفرق، فكثرة التفرق ليست يوماً من الدهر مبررة لجواز التحزب، وأكد الرسول الالتزام بالجماعة والصبر على ذلك، فقال: (**عضوا عليها بالنواجذ**) الترمذي (٥/ ٤٤)، وقال حسن صحيح وهو كما قال.

وهاهي كتب التفاسير مليئة بالتنديد بالحزبية أياً كان نوعها، قال القاضي المفسر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠٠) عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾: (وهذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدل والخوض في الكلام، هذه كلها عرضة للزلل ومظنة لسوء المعتقد).

وقال البغدادي في «الفرق بين الفرق» ص(٣٥): (كان المسلمون عند وفاة رسول الله ﷺ على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً). وقال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه «حكم الانتماء» ص (٢٢-٢٣) عند هذه المقالة: (وهذه الكلمة من العلامة البغدادي استقرائية وتعبير دقيق، فإن المسلمين قاطبة كانوا على منهاج النبوة وليس ثمة إلا كافر ظاهراً وباطناً، أو كافر باطناً مسلم ظاهراً، وهذا الصنف هم المنافقون أصحاب الدرك الأسفل من النار، فهم يكونون حزباً معارضاً بكل دسٍ خبيث، فمن أخذ بالظاهر فهم سابقة التحزب والحزبية).

ومن تأمل مقاصد الشريعة الإسلامية رأى أنها قد سدت كل باب، وقطعت كل طريق يؤدي إلى النزاع والخصومات، وعلى سبيل المثال: قول الرسول ﷺ: (**لتسوُّن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم**) رواه البخاري رقم (٧١٧) ومسلم رقم (٩٧٨) عن النعمان بن بشير.

قال العدوي في مقدمة كتابه «دعوة الرسل إلى الله تعالى» ص(و): (لو عرف المصلح السياسي أن تحزيب الأمة وجعلها شيعاً تتقاتل في سبيل حزبيتها وتنسى بذلك التحزب مصالحها ومرافقها، هو سنة عدو الله فرعون القدوة السيئة في الاستبداد والمثل الواضح في الطغيان والظلم، ولو عرف الناس ذلك لعلموا أن هذه الوسيلة هي التي يلجأ إليها الغاصب في تثبيت قدمه وتمكين سياسته، يخلق في الأمة الأحزاب ويغذّي فيها معنى الحزبية بأساليبه الشيطانية، ثم يطلب منها بعد ذلك أن تتحد إذا هي طلبت إليه مصلحة من مصالحها فيعلقها على محال؛ إذ الحزبية لا يمكن أن تزول ما دامت الأمة الغاصبة باسطة سلطانها، فإنها على حساب الحزبية تعيش، وبواسطتها تصل إلى ما تريد، ففرعون قد فتح هذا الباب للغاصبين وسنّ لهم هذه السنة؛ بل هو عمودهم الفقري وربهم الأعلى يُملي عليهم من وحيه الشيطاني ما يستبيحون به إرهاق الناس وإذلالهم: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص:٤] ا.هـ.

٢- وقول القرضاوي في التحزب: (إنه صمام أمان) لا نعلم أحداً يمدح الفرق ويجعله بهذا الخير والنفع والبركة إلا الأعداء الذين يمكرون بالشعوب فيستدرجونها بالكلام المنمق وفيه السم القاتل؛ فقول القرضاوي هذا لا يقبله عقلاء عوام المسلمين فضلاً عمن هو أرفع من العوام، وقد بين الله في كتابه عواقب التحزب، فقال: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥]، فالآية واضحة في أن التحزب يؤدي إلى التناحر والتقاتل بين المتحزبين، وقد بين رسول الله في سنته كما في حديث ثوبان عند مسلم رقم (٢٨٨٩) قال: (... **وإني سالت رَبي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**).

وتاريخ الأمة الإسلامية مليء ببوائق الأحزاب التي تحصد الأخضر واليابس، واعتبر بما يلي:

أ- الخوارج لما بايعوا رجلاً منهم وتكتّلوا معه كفّروا المسلمين وقاتلوهم بل استحلوا دماءهم وأموالهم، وهذا مصداق قول الرسول ﷺ فيهم: (**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**) رواه مسلم (٢/ ٧٤١) عن أبي سعيد الخدري، واستمر تحزبهم وبلاء الأمة بهم إلى ساعتنا هذه.

ب- الروافض لما تحزّبوا وتكتلّوا في الكوفة وغيرها سعوا بالغدر والمكر، ولما قويت شوكتهم أكثر سعوا في القضاء على الخلافة العباسية حتى توصلوا إلى القضاء عليها، فما خيانة ابن العلقمي بخافية على كثير من المسلمين، فكم ذاقت الأمة الإسلامية من ألوان العذاب عن طريق الرافضة، تارة من الرافضة مباشرة، وتارة إعانة الرافضة لليهود

والنصارى وغيرهم على المسلمين، فما عليه هذان الحزبان من الإضرار بالأمة واضح، وتلخيص ما يضر بالأمة عن طريق الأحزاب كالتالي:

* فالأحزاب المبتدعة لا يهمّها قتال الكفار بقدر ما يهمّها قتال المسلمين.

* ولا تتوانى عن دعوة المسلمين إلى ضلالها وبدعها وفتنها.

* وتتحالف مع أعداء الإسلام سراً وجهاراً للقضاء على الأمة الإسلامية، وإن لم تتحالف معهم فهي لا تقف أمامهم.

الثاني: إنشاء أحزاب كافرة والسماح لها بذلك، وقد عمّمَ القرضاوي تجويز إنشائها وخص بالذكر أحزاباً نصرانية، وقد سبق ذكر الأدلة على تحريم إنشاء أحزاب مسلمة فمن باب أولى إنشاء أحزاب كافرةً، وسبق ذكر عواقب ما جرى للمسلمين على أيدي الأحزاب المبتدعة، فتوقع أن يلحق بالمسلمين أضعاف أضعاف ذلك عن طريق الأحزاب الكافرة، وقبل أن نذكر نبذة من جرائم الأحزاب الكافرة في بلاد المسلمين نبدأ بذكر تعدد الأديان، فالقرضاوي حين جوَّز إنشاء أحزاب كافرة يفهم منه تجويزه لإقامة أديان كفرية؛ لأنه لا يمكن أن يكون الكفار بدون دين، وقد صرَّح القرضاوي بتجويزه تعدد الأديان كما سبق في مقاله، وهذا يتنافى مع عموم الأدلة وخاصها:

أما عموم الأدلة فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]، ومعلوم أن الحكمة من خلق البشر هي أن يُعبد الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذاريات:٥٦]، ولم يأذن الله بالمعاصي فيكف يأذن بالكفر، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧]، وعندما صعب على المؤمنين أن يُنازلوا كفار الأرض أوجب الله على الكفار أن يدفعوا الجزية ورخص للمؤمنين أخذها والكف عن قتال الكفار الدافعين لها، هذا بالنسبة لغير جزيرة العرب، إذ أنه لا يجتمع فيها دينان، فعن عمر

بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً**) رواه مسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: (**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقيَن دينان في أرض العرب**) رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: (**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**) رواه البخاري ومسلم. فهذه الأحاديث أفادت منع استيطان الكافرين جزيرة العرب، ومنع عقد الذمة معهم، والحكمة من هذا المنع هو بقاء وحدة الجزيرة في دينهم، فالقرضاوي عمّم ضرورة إنشاء الأحزاب بما في ذلك الكافرة حتى شمل التعميم الجزيرة العربية، مع العلم بورود هذه الأحاديث، فكان خطأه عاماً وخاصاً، أما الكلام على تجويز القرضاوي إنشاء أحزاب كافرة فهذا يختلف عن وجود أقليات في بلاد المسلمين، فإنشاء الأحزاب يدفع إلى الطمع في تكوين دولة داخل بلاد المسلمين، وما ذكرته عن نصارى القبط في مصر وغيرهم من سعيهم إلى هذا كافٍ في صحة ما أقول، وقد سبق ذكر هذا، وداعٍ إلى استدعاء المناصرين لهم من دولهم وإلى القدوم للسكنى معهم؛ ليكثر عددهم حتى يمثلوا كتلة مقبولة في النظام الديمقراطي، أيضاً يخولهم تحزبهم إلى أن ينسقوا مع أحزاب أخرى إما كافرة وإما ضالة؛بل أعظم من هذا يستنصرون بالدول الكافرة خصوصاً التي تتربص بالمسلمين الدوائر لتقف بجانبهم؛ حتى يصلوا إلى القضاء على دولة المسلمين واعتبر على سبيل المثال بلبنان فقد أقيمت فيها دولة نصرانية مارونية عندما سلكت هذا الطريق المشئوم على المسلمين، فالأقليات الأخرى في بلاد العرب سائرة على هذا الطريق طامعة في الوصول إلى قيام دولها: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [الروم:٤].

وقول القرضاوي: إن وجود الأحزاب في ظل دولة مسلمة «صمام أمان» مكابرة للحقائق ومعاندة للفطرة وإهدار للمعقول عند الناس عموماً من حاجتهم للوحدة وسعيهم لتحقيقها بكل ما أمكن، فهذه دول أوروبا قامت بالاتحاد بعد تناحر كبير، وها هي الدول الكبرى تعقد التحالفات تِلوَ التحالفات كل ذلك طلباً للأمان والاستقرار

والقوة والبقاء، وها هو بابا النصارى يوحنا بولس الثاني يعقد الاتفاقيات مع اليهود بالرغم أن بينهم وبين اليهود ما بين الهر والكلب، كل ذلك طلباً للقوة والوحدة، فإذا كان القرضاوي قد آلى على نفسه ألا يعمل بالأدلة الشرعية التي تدعو إلى اعتصام المسلمين بكتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ، وتحرّم عليهم التحزب، فليأخذ ذلك من مواقف دعاة النصارى، وليدع إلى نبذ التحزب وإلى الرجوع إلى وحدة الصف، فهذا أقل ما يفعله، وإن لم يفعل هذا فلا أقل من أن يترك التكلم ويلزم بيته ويدع الأمور لأهلها ويعطي القوس باريها.

ـ أما اشتراط القرضاوي في الأحزاب الكافرة: (أن تعترف بالإسلام عقيدة وشريعة ولا تعاديه أو تتنكر له) فهو كلام لا معنى له وكيف لا! وها هم النصارى الذين ينادون بوحدة الأديان ويظهرون للقرضاوي وأمثاله الودّ والاحترام لم يعترفوا بالإسلام، وها هي الأقليات اليهودية والنصرانية باقية على يهوديتها ونصرانيتها، وأيضاً لو حصل - على كل تقدير - أن هذه الأحزاب اعترفت بالإسلام، فلا يجوز للقرضاوي وغيره أن يجوّزوا قيام الأحزاب، والشرط الثاني الذي ذكره القرضاوي وهو: (ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته) فهذا لا يتحقق في عصر الحرية الديمقراطية التي تجوّز أن يُتكتل مع شياطين الجن والإنس ويُعمل ضد الدين الذي لا يرتضيه هذا الحزب، والقرضاوي يصور نفسه كأنه قائد العالم يقول كذا وكذا وقوله مسموع ومعمول به، وما السر الذي جعل القرضاوي يؤمن بجواز إقامة الأحزاب وهو محذور شرعاً؟ فالذي أعرفه من خلال كلامه هذا هو من أجل السماح لهم بإنشاء أحزابهم؛ لأنه إذا صرح بتحريم إقامة الأحزاب الكافرة في بلاد المسلمين والأحزاب الأخرى قالوا له: أنت عدو الديمقراطية، ففتح الباب على مصراعيه ليثبت لهم أنه مع الديمقراطية جنباً إلى جنب، فكلام القرضاوي يزيد قلوب المؤمنين حسرة بسبب كثرة فساد أقواله وتصريحاته بمخالفة الكتاب والسنة وما عليه أهل الإسلام.

كلام أهل العلم في القرضاوي:

كلام أهل العلم وردهم على القرضاوي كثير، وسنذكر بعضاً من كلامهم فيه وردهم عليه:

قال العلامة الألباني في كتابه «تحريم آلات الطرب» (١٨): (وقد مهد لهم في الإنكار والتضعيف بعض المشهورين من العلماء المعاصرين كالشيخ يوسف القرضاوي تقليداً منه للشيخ محمد أبو زهرة، وقد تقدمت فتواه في ذلك ولعله من تلامذته الذين تخرجوا من مدرسته ورضعوا من لبانته، فقد صرح في كتابه «الحلال والحرام» بقوله ص(٢٩١) الطبعة (١٢) تحت عنوان (الغناء والموسيقى): (ومن اللهو الذي تستريح إليه النفوس وتطرب له القلوب وتنعم به الآذان الغناء... ولا بأس بأن تصحبه الموسيقى غير المثيرة).

وقال في مقدمة كتابه «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» ص(١٣): (فإني أعلن هنا أن غاية ما التزمت القيام به تجاه «كتاب الحلال» إنما هو تخريج أحاديثه فقط، فلست مسئولاً بداهة عن أي خطأ قد يكون وقع من المؤلف في بعض مسائله؛ بل في تخريجه هو لأحاديثه، ومع ذلك فإني قد نشطت في بعض الأحيان فتعقبته في غير ما مسألة تبين لي أنه أخطأ فيها بمناسبة تخريجي لأحاديثها كمسألة التختم بخاتم الحديد، ونمص الشعر، ووصل الشعر، والخضاب بالسواد، والتصوير والصور، وإيجار الأرض، والغناء وآلات الطرب، وحقوق أهل الذمة وغيرها)ا.هـ بتصرف.

وقال شيخنا العلامة الوادعي في مقدمته لكتاب «رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام» ص(٤): (ومن بين دعاة الضلالة في زمننا هذا يوسف بن عبد الله القرضاوي مفتي قطر، فقد أصبح بوقاً لأعداء الإسلام فسخر لسانه وقلمه لمحاربة دين الإسلام) وأخرج فيه شريطاً كاملاً ومما قاله فيه: (قَرَض نصف الدين).

ولما قدم العلامة أحمد بن يحيى النجمي لكتاب «رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام» قال ص(٥): (وبعد الاطلاع عليه رأيت أن الشيخ أحمد العديني اليمني

قد رد على يوسف القرضاوي في كثير من شطحاته وضلالاته التي سجلها في كتبه ولقاءاته وفتاويه المنشورة في بعض الجرائد والمجلات).

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن قول القرضاوي: (لو أن الله عرض نفسه على الناس... إلخ) فأجاب بقوله: (نعوذ بالله! هذا يجب عليه أن يتوب وإلا فهو مرتد؛ لأنه جعل المخلوق أعلى من الخالق فعليه أن يتوب إلى الله، فإن تاب فالله يقبل عنه ذلك، وإلا وجب على حكام المسلمين أن يضربوا عنقه). انظر «رفع اللثام» ص(٩٩).

ورد عليه الشيخ سعيد الغامدي في تجويزه للمرأة المسلمة التمثيل نقلاً من كتاب «معالم التيار الفكري عند القرضاوي» ص(٩٢).

وأما الكتب التي أُلِّفَت في الرد على القرضاوي فعلى قسمين:

القسم الأول: تتضمن الرد عليه في مجالات كثيرة وهي كالآتي:

١- «إسكات الكلب العاوي يوسف بن عبد الله القرضاوي» للعلامة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

٢- «رفع اللثام عن مخالفة القرضاوي لشريعة الإسلام» للعديني، وقد قدم لهذا الكتاب جماعة من العلماء.

٣- «القرضاوي في الميزان» للشيخ سليمان بن صالح الخراشي، وهو من الكتب التي استوعبت كثيراً من مخالفات القرضاوي.

٤- «معالم التيار الفكري عند القرضاوي» لإبراهيم الشرقاوي المصري.

القسم الثاني: كتب فيها ردود على القرضاوي في بعض المسائل، ومنها:

أ- «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام» تأليف العلامة صالح بن فوزان الفوزان.

ب- «نظرات في كتاب الحلال والحرام» للشيخ عبد الحميد طهماز.

ج- «الحق الدامغ للدعاوي في دحض مزاعم القرضاوي» للشيخ عبد الكريم الحميد، ردّ عليه في إباحته لآلات الطرب.

وبناء على ما سبق ذكره وأمثاله مما لم أذكره يتسنى لنا أن نوجه النصح للمسلمين بأن لا يحضروا محاضرات وخطب القرضاوي، ولا يسمعون أشرطته ولا يقرءون في كتبه إلا لمن كان متضلعاً من العلوم الشرعية بصيراً بشبهات هؤلاء، ولغرض التحذير من ذلك، ولا يهولنك كثرة ما ألف القرضاوي، فإن الغالب على ما فيها التكرار وأيضاً مؤلفاته تفتقد الصبغة العلمية القائمة على التصحيح والتنقيح والتمحيص والتقعيد والتأصيل النابع من مصادر أهل السنة، ناهيك عما فيها من مجازفات في بعض المسائل والأصول والقواعد والضوابط.

حفظ الله للقرآن والسنة المطهرة من التحريف والتبديل

لقد تكفل الله بحفظ كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم ﷺ من كل أنواع التغيير والتبديل والتحريف، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، وحفظه لهما إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر:٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة:١٧-١٩]، وقد بين سبحانه أن شياطين الجن والإنس عاجزون عن أن يفعلوا بالقرآن شيئاً، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحج:٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾[الشعراء: ٢١٠-٢١٢]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الإسراء: ٨٨]، ولفظ (الذكر) في الآية الأولى يشمل القرآن والسنة، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ

لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، فحفظ السنة داخل في حفظ القرآن، وقد أوضحنا هذا في كتابنا «القول الأمين في أصناف المبدلين» وما أخبر الله به من حفظ كتابه هو المتحقق على مر العصور والدهور، قال ابن حزم في «مراتب الإجماع» (١٢٧): (اتفقوا على كل ما ورد في القرآن من خبر ما مضى أو ما يأتي حق صحيح وصدق لا شك فيه) فمن كذب بشيء مما جاء به القرآن من حكم أو خبر أو نفي ما أثبته أو أثبت ما نفاه أو شك في شيء من ذلك وهو عالم به، فقد أجمعوا على كفره)[1].

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني في كتابه «الانتصار للقرآن» ص(٩٤-٩٥): (ومما يدل أيضاً على أن القرآن المرسوم في مصاحفنا هو جميع كتاب الله الذي أنزله على رسوله وفوض حفظه وإثباته والرجوع إليه نقل جميع السلف والخلق الكثير من بعدهم الذين ببعضهم تثبت الحجة وينقطع العذر أن هذا القرآن الذي في أيدينا هو جميع كتاب الله الذي أنزله وأمر بحفظه وإثباته والرجوع إليه، وقد علم أن التشاجر والتراسل واتفاق الكذب متعذر ممتنع على مثلهم فوجب لذلك العلم بصحة ما نقلوه وسقوط كل رواية جاءت من جهة الآحاد بخلاف ذلك عن بعض الصحابة والتابعين وما يجوز أن يروى من ذلك ويفتعل ويتكذب في المستقبل؛ لأن نقل ما ذكرناه أوجب لنا علم الضرورة بصحة ما نقلوه وانتفاء السهو والإغفال والكذب والافتعال عنهم لما هم عليه من كثرة العدد واختلاف الطبائع والأسباب والهمم).

ومعرفة حفظ الله للقرآن من التحريف والتبديل تعد من المسائل البديهية عند المسلمين ما عدا غلاة الرفض، ومما يدل على ذلك ما ذكره السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (٣١٩-٣٢٠) أن رجلاً من الخوارج دخل على المأمون العباسي، فقال الخليفة المأمون للخارجي: ما حملك على خلافنا؟ قال: آية في كتاب الله، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤] قال: ألك علم

(1) وقال بمثله النووي في «المجموع» (٢/ ١٨٥)، نقلاً من «موسوعة الإجماع» (٣/ ٩٠٣).

بأنها منزلة؟ قال: نعم، قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة، قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل، قال: صدقت، السلام عليك يا أمير المؤمنين).

وقد نقل غير واحد من أهل العلم الإجماع على كفر من سعى في تحريف القرآن، قال ابن حزم في «مراتب الإجماع» ص(٢٧٠): (وإن كل ما في القرآن حق وأن من زاد فيه حرفاً من غير القراءات المروية المحفوظة المنقولة نقل الكافة، أو نقص منه حرفاً أو بدل منه حرفاً مكان حرف، وقد قامت عليه الحجة أنه من القرآن فتمادى متعمداً لكل ذلك عالماً بأنه بخلاف ما فعل فإنه كافر).

ونقل الإجماع أيضاً النووي في شرح مسلم (٦/ ٧٧) والشوكاني في «نيل الأوطار». وهاهم المنصفون من أحبار أهل الكتاب ورهبانهم يشهدون للقرآن بحفظه، والحق ما شهدت به الأعداء، ومن ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره الجامع (١٠/ ٦) قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون - وهو أمير إذ ذاك - مجلس نظر فدخل في جملة الناس رجل يهودي حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة قال: فلما تقوض المجلس دعاه المأمون فقال له: إسرائيلي؟ قال: نعم قال له: أسلم حتى أفعل وأصنع، ووعده، فقال: ديني ودين آبائي، وانصرف. قال: فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، قال: فتكلم على الفقه فأحسن الكلام، فلما تقوَّض المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما سبب إسلامك؟ قال:... فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت تراني حسن الخط، فقمت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الكنيسة فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها، فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي).

وقال خليل بن أحمد وهو ممن أسلم في هذا العصر كما في كتاب «قالوا عن الإسلام» ص(٤٩): (هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه).

وقال الدكتور أحمد نسيم سوسة باحث مهندس من العراق كان يهودياً فاعتنق الإسلام قال: (أما الفرقان... المجيد فقد حافظ المسلمون عليه بحرص شديد وأمانة صادقة، فهو حقا الكتاب المقدس الفريد الذي أجمع الكل على سلامته وطهارته من التلاعب والتحوير... والواقع أن الدلائل التاريخية واضحة بأجلى وضوح مما لا يترك أي شك في أن الفرقان الكريم لم يطرأ عليه أي تحريف أو تحوير، وقد جاء كلام الله بكامله على لسان نبيه ﷺ دون أن يتغير فيه حرف واحد) [1].

وقالت (فاغليري) باحثة إيطالية معاصرة: (لا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي في هذه الحقيقة، وهي أن نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنـزيله ويوم الناس، هذا، وأن نصه سوف يظل على حاله تلك من الصفاء وعدم التحريف بإذن الله مادام الكون) [2].

وقال (ايرفنج) مستشرق أمريكي معاصر: (كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل ثم حل القرآن مكانهما، فقد كان القرآن أكثر شمولاً وتفصيلاً من الكتابين السابقين كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل حوى القرآن كل شيء وحوى جميع القوانين؛ إذ أنه خاتم الكتب السماوية) [3].

وقال (ديورانت) مؤلف أمريكي معاصر: (ظل القرآن أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرة المسلمين يستثير خيالهم ويشكل أخلاقهم ويشحذ قرائح مئات الملايين

---

(1) المصدر السابق (٧١).

(2) المصدر السابق (٧٥).

(3) المصدر السابق (٥٠).

من الرجال، والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد وأقلها غموضاً، وأبعدها عن التقليد بالمراسم والطقوس)[1].

وقال (ريسلر) باحث فرنسي معاصر: (حقاً لقد ظلت شريعة القرآن راسخة على أنها المبدأ الأساسي لحياة المسلم، ولم يتعرض ما جاء في القرآن من نظر وأخلاق ونظام لأية تغييرات ولا لتبديلات)[2].

وقال (لوبون) مؤرخ فرنسي معاصر: (إن هذا الكتاب (القرآن) تشريع ديني وسياسي واجتماعي وأحكامه نافذة منذ عشرة قرون)[3].

فالساعون في محاولة تحريف القرآن والسنة غاية ما يتوصلون إليه الفضيحة والخزي في الدنيا قبل الآخرة، ولعذاب الآخرة أكبر، ولجهلهم الكبير سلكوا هذا المسلك المشين ألا وهو مسلك محاولة تحريف القرآن والسنة وهما محفوظان عصراً بعد عصر، وإدخال التحريف في طبعة واحدة أو طبعات من القرآن الكريم لا يعني أبداً أنه قد حرف القرآن، ولكن يقال: هذه طبعة محرفة، وقد يحصل أن أفراداً من المسلمين لبس عليهم بهذا التحريف في طبعة فأكثر فضلوا وصدقوا بالباطل، وهذا أكثر ما يصل إليه متعاطو التحريف، ولكن إن أراد الله لهم الهداية يسر لهم بمن يرشدهم إلى الصواب، وكذا السنة المطهرة، فمن أدخل الزيادة أو النقصان في حديث واحد ولو كانت حرفاً واحداً لكشف ذلك، فليخسأ الحاقدون على كلام الله وكلام رسوله، وليبوءوا بأشنع الفضائح وأقبح القبائح، وليموتوا بغيظهم، فقد باءت جهود المستشرقين والمنصرين وغيرهم من أعداء القرآن والسنة بالفشل والإحباط، ولله الحمد والمنة.

---

(1) المصدر السابق (٦٤).

(2) المصدر السابق ص (٦٧).

(3) المصدر السابق (٨٦).

أهمية دعوة الكفار إلى الإسلام بالضوابط الشرعية

لقد أمر الله نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤] وقد بعث الرسول ﷺ بكتبه إلى ملوك النصارى وغيرهم يدعوهم فيها إلى الإسلام، ففي البخاري (١/ ٦) ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أرسل إلى هرقل بكتاب وفيه: (فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ...).

وفي البخاري عن أنس قال: كان غلام يهودي للنبي ﷺ يخدمه، فمرض، فجاء النبي ﷺ يعوده، فقال له: (**أسلم**) فنظر إلى أبيه فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول: (**الحمد لله الذي أنقذه من النار**).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيد لهم، فكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: (يا معشر يهود! أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه، قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم رد عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى، آمنتم أو كذبتم، ثم انصرف وأنا معه، حتى إذا كدنا أن نخرج نادى رجل من خلفنا: كما أنت محمد، قال: فأقبل فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلمون فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: والله ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك ولا أفقه منك ولا من أبيك قبلك ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد له بالله إنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت! ثم ردوا عليه قوله، وقالوا فيه شراً، قال رسول الله ﷺ: (وأنا وعبد الله بن سلام وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ

وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ [الأحقاف:١٠]) رواه أحمد (٦/ ٢٥) والطبراني في الكبير (١٨/ ٨٣) وابن حبان رقم (٧١٦٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: (انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا بيت الدارس فقام النبي ﷺ، فناداهم: (**يا معشر يهود! أسلموا تسلموا**) فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: (ذلك أريد، ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قام الثالثة، فقال: (**اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئاً، فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله**) رواه البخاري ومسلم.

فليسلك الدعاة إلى الله الطريق النبوي في دعوة اليهود والنصارى وغيرهم إلى الإسلام، وليتفقهوا فيها، ومن ذلك التضلع بالعلم الشرعي الكاشف لشبههم، وأيضاً الاطلاع على ما كتبه أهل العلم في بيان التحريف في كتبهم حتى لا يلبسوا على الداعية أن التحريف ليس موجوداً فيها، ومن ذلك أيضاً: المناظرة لهم، وهذا لمن كان قادراً على ذلك، وظهرت في ذلك المصلحة، وقد تحققت ثمار عظيمة بسبب المناظرة لهم قديماً وحديثاً، وعلى سبيل المثال ما حصل في المناظرة التي جرت بين نخبة من علماء المسلمين وبعض القساوسة والمنصرين في الخرطوم في الفترة من (٢٣/ ١/ ١٤٠١هـ) - (٢٩/ ١/ ١٤٠١هـ) في مسائل التثليث والصلب والفداء والأبوة والبنوة، وقد أسفرت المناظرة عن إسلام هؤلاء القساوسة والمنصرين)[1].

وسأضرب مثالاً لأهمية التفقه في دعوة الكفار إلى الإسلام، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (إن إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله بأنه نبي لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته).

وقال ابن حجر: (إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام).

---

(1) انظر «دعوة التقريب بين الأديان» (٤/ ١٦١٩).

فالأصل في الدعوة إلى الله للكفار وغيرهم أن تقوم على الرفق بالمدعو والرحمة به والخشية عليه من العذاب إن هو بقي على مخالفة الله ورسوله، وتقوم على استخدام الوسائل التي يرجى من خلالها إقامة الحجة وهداية المدعو، وحذار من الخلط بين أمرين:

أحدهما: التسامح مع المدعوين والصبر عليهم فهذا جائز في الشرع.

والثاني: الود والحب للكافر، فهذا محرم في الإسلام، فالداعي إلى الله لا يقال له: انزع أولاً من قلبك كره اليهود والنصارى وبغضهم وعداوتهم، ولكن يقال له: ادعهم بالرفق واللين والصبر عليهم.

التحذير من القراءة في كتب المستشرقين وغيرها من كتب الضلال:

لما رأيت ما صنعت كتب المستشرقين ببعض الدكاترة والكتاب والمدرسين وأمثالهم من الافتتان بها في دينهم حتى طعنوا في القرآن والسنة والنبوة والصحابة واللغة العربية وغير ذلك بادرت إلى بيان خطر الأمر وتداركه، فالمستشرقون هم اليهود والنصارى الذين درسوا الإسلام وأحوال المسلمين بقصد الطعن والتشويه للإسلام وأهله، والغالب على كثير منهم الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، وكيف لا وقد اعتمدوا في دراستهم على الكتب التي تحارب الإسلام والمسلمين ككتب الباطنية والحلوليين والرافضة والجهمية، وتوصلوا إلى أحكام على الإسلام وأهله في غاية من البطلان والحماقة من أن القرآن كلام بشر وليس كلام الله، وأن السنة المطهرة وضعها وافتراها المسلمون الأوائل، وأن الفقه مأخوذ من القانون الرومي وغير ذلك، وليس هذا غريباً علينا، ولكن الأمر المحزن أن يصير من أبناء المسلمين من يقتدي بهم، بل ويقدمهم على أئمة الإسلام.

فيا سبحان الله! أليس هؤلاء المستسرقون مثل أسلافهم الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨]، بل لم يكن هؤلاء المستشرقون مندفعين من ذات أنفسهم فقط، ولكن وراءهم دول تحركهم ليفسدوا الإسلام، ولقد ملئت كتب أهل العلم وكثرت

فتاواهم في إتلاف وإحراق وهجر كتب أهل البدع والضلالات، وبدون شك أن شرها أخف من كتب المستشرقين بكثير فدونك ذلك:

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٥١) في حوادث سنة (٢٧٩هـ): (وفيها نودي بألا تباع كتب الكلام والفلسفة والجدال بين الناس وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام).

وذكر الحافظ ابن محمد المعروف بالكردري حكاية حسنة قال: (ويحكى أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية وكان فيها من حكماء الفلاسفة يحيى المدعو فيما بين الفلاسفة بتوماطيقوس -أي: النحوي- وكان عليه اللعنة إسكندرانياً، وكان يعتقد مذهب اليعقوبية من النصارى في التثليث، فرجع عن التثليث فنازعه النصارى بمصر وأسقطوا حرمته، وكان مقيماً بالإسكندرية، فلما فتحها عمرو لازم عمراً، فقال له يوماً: إنك قد أحطت بجواهل هذه البلدة وختمت على كل الأصناف الموجودة فمالك به انتفاع فلا يعارضك فيه أحد وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به، فقال له عمرو: وما الذي تحتاج إليه؟ قال يحيى: كتب الحكمة التي في الخزائن، فقال عمرو: ولا أتمكن إلا بإذن أمير المؤمنين فكتب إليه عمرو رضي الله عنه: أما الكتب التي ذكرتها إن كانت توافق كتاب الله تعالى ففيه غنى عنها، وإن كان غير ذلك فلا حاجة بها، فتقدم بإعدامها، فأخذ عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وأحرقها في مواقدها فنفدت في ستة أشهر).

وذكر الشوكاني في «الصوارم الحداد» ضمن «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني» (٢/ ١٠٢٩-١٠٣٠) (أن القاضي عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون الحضرمي المالكي قال في أثناء جوابه: وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد في نسخها بأيدي الناس مثل «الفصوص والفتوحات» لابن عربي و«البد» لابن سبعين و«خلع النعلين» لابن قسي و«عين اليقين» لابن برخان، وما أجدر لكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني وأمثالها أن يلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض، فالحكم في هذه الكتب كلها

وأمثالها أن يلحق إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء) إلى آخر ما أجاب به.

وكذلك أبو زرعة الحافظ العراقي الشافعي أجاب بمثل ذلك لما سئل عنه وقال: لا شك في اشتمال الفصوص الشهيرة على الكفر الصريح الذي لا يشك فيه، وكذلك الفتوحات المكية، فإن صح صدور ذلك عنه واستمر عليه إلى وفاته فهو كافر مخلد في النار بلا شك). إلى آخر كلامه.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» ص(٢٧٥-٢٧٧): (وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها... وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها، بل مأذون في محقها وإتلافها وما على الأمة أضر منها، وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان لما خافوا على الأمة من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمة... والمقصود أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها).

وقال ابن القطان في كتابه «نظم الجمان في ما سلف من أخبار الزمان»: (لما وصل «إحياء علوم الدين» إلى قرطبة تكلموا فيه بالسوء وأنكروا عليه أشياء لا سيما قاضيهم ابن حمدين، فإنه أبلغ في ذلك حتى كفر مؤلفه وأغرى السلطان به واستشهد بفقهائه، فأجمع هو وهم على حرقه، فأمر علي بن يوسف بذلك بفتياهم فأحرق بقرطبة على الباب الغربي في رحبة المسجد بجلوده بعد إشباعه زيتاً بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالى الإحراق على ما اشتهر عنه ببلاد المغرب في ذلك الوقت)ا.هـ نقلاً من «إحياء علوم الدين في ميزان العلماء والمؤرخين» للشيخ علي الحلبي ص (٣٥).

وقال الإمام الطرطوشي ت (٥٢٠هـ) في معرض كلامه على كتاب «إحياء علوم الدين»: (وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار فإنه إن ترك انتشر بين أظهر الخلق،

ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال)[1].

(وقد أعطي العلامة ابن الأمير الصنعاني كتابي «الإنسان الكامل» و«المضنون به على غير أهله» للغزالي فقال الصنعاني: (ثم طالعت الكتابين فوجدت فيهما كفراً صريحاً فأمرت بإحراقهما بالنار، وأن يطبخ على نارهما خبز لي). فأكل من ذلك الخبز بنية الشفاء فما شكا رحمه الله بعد ذلك الأكل مرضاً). نقلاً من كتاب «كتب حذر منها العلماء» (١/ ٤٥).

وقد ألف العلامة ابن قدامة كتاباً بعنوان «تحريم النظر في علم الكلام».

وقال الشيخ مشهور بن حسن وهو يحذر من الكتب التي غزت بلاد المسلمين: (ولقد كان من أبرز أعمال التغريب والغزو الثقافي في العصر الحديث ممثلاً في الاستشراق والتبشير بإعادة طبع وإحياء «رسائل إخوان الصفاء» من جديد بعد أن دفنت وماتت وكشف زيفها منذ أكثر من ألف سنة، فقامت المطبعة الكاثوليكية في بيروت بإعادة طبع هذه الرسائل).

وبناءً على ما سبق ذكره فلا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقرأ كتب اليهود والنصارى، ولا يجوز بيعها ولا طباعتها ولا إهداؤها ولا الدفاع عنها ولا القبول لمن يروج لها، بل الواجب التحذير منها تحذيراً شديداً لمن قدر على ذلك، لأن ذلك من أعظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجوز للراسخين في علم الشريعة المقتدين بسيد الأولين والآخرين البصراء بالشبهة أن يقرءوا كتب المستشرقين ليعرفوا ما فيها من طعن في الإسلام وأهله وليقوموا بالدفاع عن الحق وأهله.

---

(1) نقلاً من المصدر السابق ص (١٠).

نداء لجماعة الإخوان المسلمين

أيها الإخوان! لا شك أنكم تسمعون الآن من بعض علمائكم أشياء لم تسمعوها من قبل ولا تتوقعونها، بل بعض قائليها اليوم كان في الأمس يحذر منها، فالمطلوب شرعاً أن تقوموا بنصرة المخالف للحق خصوصاً إذا كان المخالف منكم، ونصرته التي دعا إليها الإسلام هي قول الرسول ﷺ: (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا: ننصره يا رسول الله إذا كان مظلوماً فكيف ننصره إذا كان ظالماً؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن ظلمه**) رواه البخاري عن أنس، فلا يجوز قبول ما عُلِم مخالفته للكتاب والسنة ولا السكوت عنه لمن قدر على البيان، فإن سكوت الفرق عما يحدث من كبارها أدى إلى كثرة الانحرافات فيها، واعتبروا مثلاً بالشيعة، فقد كان التشيع في أول الأمر تقديم علي على عثمان رضي الله عنهما، ثم اتسعت دائرته إلى تكفير أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة، ومن جهة أخرى ظهر من باطن التشيع الرافضة بل والقرامطة الإسماعيلية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى، ولو استحضر قدماء الإخوان الأمور الداخلة على دعوتهم وكانت قبل ذلك غير مقبولة عندهم لوجدوها كثيرة، ولينظروا ما الذي فعلوه منذ ظهرت جماعة الإخوان المسلمين قبل سبعين عاماً إلى هذا الوقت من الإصلاح، فدعوتهم - حقيقة - ليس لها حراس أقوياء يردون ما يدخل فيها من الأمور المخالفة للشرع، مع أننا لا نرضى للمسلم إلا بما رضي الله له به، ونكره له ما كره الله، فلا نرضى بالتحزب مع أي جهة، ونرضى بالأخوة الإسلامية لكل المسلمين على حسب قربهم من الحق وبعدهم عنه. والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحذير من الردة عن الإسلام ومن سبلها

لقد جاءت الأدلة الكثيرة في القرآن والسنة تحذر المؤمنين من الوقوع في الردة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤]، قال ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٦٥-٣٦٧) عند هذه الآية: (ففي هذه الآية إشارة إلى أن

من أعرض عن حبنا وتولى عن قربنا لم نبال به واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحق، فمن أعرض عن الله فماله من الله بدل ولله منه أبدال).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ [البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد:٣٣]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ [محمد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

ولقد كان السلف يخافون من الوقوع في البدعة أكثر من خوفهم من المعاصي، فقد ذكر الذهبي في السير (٤/ ٦١٠) عن ابن عون قال: (كان محمد بن سيرين يرى أن أهل الأهواء أسرع الناس ردة).

وقال يونس بن عبيد لولده: (أنهاك عن الزنا والسرقة وشرب الخمر، ولأن تلقى الله بهن أحب إلي من أن تلقاه برأي عمرو بن عبيد وأصحابه)[1].

وقال سلام بن أبي مطيع: (لأن ألقى الله بصحيفة الحجاج أحب إلي من أن ألقى الله بصحيفة عمرو بن عبيد)[2].

وقال ابن المبارك: (إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية)[3].

قلت: هذا التحذير الشديد من البدع وأهلها دليل على عظيم فقه السلف، فقد قال رسول الله ﷺ في المارقين من الدين: **(يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون)** متفق عليه من حديث أبي سعيد، وفي لفظ **(ثم لا يعون)** قال بعض السلف: آخر الحديث أشد عليهم من أوله.

وكلام أهل العلم عما تقع به الردة كثير، ومن ذلك:

ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ٦٥٩): (والمرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه بكلام أو اعتقاد أو فعل أو شك وهو قبل ذلك يتلفظ بالشهادتين ويصلي ويصوم، فإذا أتى بشيء مما ذكروه صار مرتداً مع كونه يتكلم بالشهادتين ويصلي ويصوم ولا يمنعه تكلمه بالشهادتين وصلاته وصومه عن الحكم عليه بالردة، وهذا ظاهر بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع)[4].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً كما في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤١٣-٤١٤) وهو يتحدث عن التتار قال: (... كحال هؤلاء القوم المجرمين المفسدين الذين خرجوا على أهل الإسلام، وتكلم بعضهم بالشهادتين وتسمى بالإسلام من غير التزام شريعته، فإن عسكرهم مشتمل على أربع طوائف: كافرة باقية على كفرها من الكرج والأرمن

---

(1) «السير» (٦/ ٢٩٤).

(2) «السير» (٧/ ٤٢٨).

(3) «السير» (٨/ ٤٠١).

(4) نقلاً من «التوسط والاقتصاد» للشيخ علوي السقاف ص (١٣ح).

والمغل، وطائفة كانت مسلمة فارتدت عن الإسلام وانقلبت على عقبيها من العرب والفرس والروم وغيرهم، وهؤلاء أعظم جرماً عند الله وعند رسوله والمؤمنين من الكافر الأصلي من وجوه كثيرة، فإن هؤلاء يجب قتلهم حتماً، ما لم يرجعوا إلى ما خرجوا عنه، لا يجوز أن يعقد لهم ذمة ولا هدنة ولا أمان، ولا يطلق أسيرهم ولا يفادى بمال ولا رجال، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، ولا يسترقون مع بقائهم على الردة بالاتفاق، ويقتل من قاتل منهم، ومن لم يقاتل كالشيخ الهرم والأعمى الزمن باتفاق العلماء، وكذا نساؤهم عند الجمهور، والكافر الأصلي يجوز أن يعقد له أمان وهدنة، ويجوز المن عليه والمفاداة به إذا كان أسيراً عند الجمهور، ويجوز إذا كان كتابياً أن يعقد له ذمة، ويؤكل طعامهم وتنكح نساؤهم، ولا تقتل نساؤهم إلا أن يقاتلن بقول أو عمل باتفاق العلماء، وكذلك لا يقتل منهم إلا من كان من أهل القتال عند جمهور العلماء كما دلت عليه السنة، فالكافر المرتد أسوأ حالاً في الدين والدنيا من الكافر المستمر على كفره، وهؤلاء القوم فهم من المرتدة ما لا يحصي عددهم إلا الله).

وقال ابن مفلح في «المبدع» (٩/ ١٧٠): (والمرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر إما نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً، وقد يحصل بالفعل)[1].

وقال النووي: (الردة قطع الإسلام بنية أو قول أو فعل كسجود للصنم واستخفاف بالمصحف أو الكعبة)[2].

فليحذر المسلم من تعريض نفسه لهذا الذنب العظيم، وليتق الله في كل ما يعتقده وفيما يقوله ويفعله أداء أو تركاً، وليسد أبواب المعاصي والبدع والتحزب فإنها بريد الكفر والردة عن الإسلام. والله المستعان.

---

(1) نقلاً من كتاب «التعريفات الاعتقادية» ص(١٧٩).

(2) المصدر السابق ص (١٧٩).

شبهة وجوابها

بعض الملبسين يسلك مسلكاً غريباً في تبرئة القرضاوي من مخالفاته في أمور معلومة من الإسلام بالضرورة مشهورة عند الخاص والعام، ويقول: القرضاوي عنده حق، وانتفع به المسلمون وذب عن حمى الإسلام!! إلى آخر ما يقال فيمن يبيّن أخطاء المخالفين ويقول: لا جدوى من الكلام في القرضاوي، فالأعداء يفتكون بنا ونحن مشغولون ببعضنا بعضاً، إلى آخر السلسلة المعروفة.

فأقول اعلموا معشر المسلمين أن جميع المسلمين من أصحاب البدع والضلالات عندهم حقٌ وباطل، فالخوارج والصوفية والأشعرية والمعتزلة والروافض وغيرهم من الفرق والأحزاب عندهم حق لا نختلف معهم فيه؛ ولكنه مخلوط بغيره، فاستدعى ذلك البيان والإيضاح، ولولا البيان والإيضاح لصار الباطل حقاً والحق باطلاً عند كثير من المسلمين، **فدين الإسلام حقٌ لا باطل فيه واتباعٌ لا ابتداع فيه** وموالاةٌ لأهل الحق لا لأهل الباطل، ومن أعظم الغش للأمة أن يترك الباطل مدسوساً في الحق كشأن بعض علماء الأحزاب يرون السكوت عن الأباطيل والمباركة لأصحابها، وليعلم المسلم المدافع عن كل مبطل أنه ما اتقى الله في ذلك، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النساء:١٠٧]، وقال الرسول ﷺ: (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**)، قالوا يا رسول الله: ننصره إذا كان مظلوماً فكيف ننصره إذا كان ظالماً قال: (**تحجزه عن ظلمه**) رواه البخاري عن أنس، فلماذا هذا الصنف يسهل عليه أن يخالف هذه التوجيهات الشرعية وفي ذلك خطر عظيم عليه، فلو سعى في إصلاح من بدرت منه مخالفة للشرع لكان أحسن له ولدينه ولأمته، أما أن تأخذه العواطف للحزب أو للأشخاص فيبادر إلى الدفاع عن الشخص غير مبالٍ بالدفاع عن الحق وغير مبالٍ بما يحصل من انحراف للمتأثرين بضلال المُدافَع عنه فهذا يعين على الباطل ويزيد في إفساد الأمة، فالردود على المخالفين بضوابطها الشرعية مقصد عظيم من مقاصد حفظ الشريعة وبقائها صافية نقية، وسعي إلى إنقاذ المسلمين الواقعين في ذلك الخطأ، وتحصين

من لم يقع في ذلك الشر حتى لا يقع فيه، وكون المردود عليه سيغضب، أو سيُترك من قبل الناس، فعليه أن يسلك مسلك أهل العلم وهو الرجوع عن أخطائه، فلو فعل ذلك لجعل الله له مكانة وحباً في قلوب الناس، أما إذا بقي مصراً على أخطائه وضلالاته فلا يليق بمسلم أن يدافع عنه عند ذلك، وبالنسبة ليوسف القرضاوي فإننا ندعوه أن يتوب إلى الله مما خالف فيه شرع الله، ويأخذ انتقادات العلماء عليه ويستعين بالأمناء والنصحاء ليعينوه على الرجوع عما انتقد عليه ما دام الانتقاد صحيحاً وجيهاً، فهذا خير له في الدنيا والآخرة. والله أسأل أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه.

ملحق بأسماء مجموعة من الكتاب والدكاترة الواقعين في بعض ما وقع فيه القرضاوي

رأيت أن أرفق بهذا الرد أسماء مجموعة من الكتاب والدكاترة الذين وقعوا فيما وقع فيه القرضاوي من دفاع عن اليهود والنصارى، وما أردت الاستقصاء، وقد تركت ذكر بعض الكتاب لاشتهارهم بالردة عن الإسلام كطه حسين وحسن حنفي وأمين الخولي وأمثالهم، وهؤلاء الذين ذكرتهم عندهم انحرافات في مجالات أخرى لم أتعرض لها غالباً؛ لأني رأيت أن هذا يجعلنا نخرج عن الحرص على صغر حجم الرسالة، وها هي الأسماء بين يديك مرتبة على الحروف الهجائية:

١-**أحمد شوقي**: مصري من أصل كردي وهو شاعر مشهور ذاع صيته واشتهر في الآفاق، وله ديوان اسمه «الشوقيات» يقر فيه وحدة الأديان، فقد قال فيه:

أعهدتنا والقبط إلا أمة ... للأرض واحدة تروم مراما
نعلي تعاليم المسيح لأجلهم ... ويوقرون لأجلنا الإسلاما
الدين للديان جل جلاله ... لو شاء ربك وحد الأقواما [1]

ومدح في بعض أبياته أمم الكفر وجعلهم إخوان المسلمين، فقال في «الشوقيات» (١/ ٢٧٩-٢٨٠):

أمم الحضارة أنتموا آباؤنا ... منكم أخذنا العلم والعرفانا
رقت لكم منا القلوب كأنما ... جرحاكم يوم الوغى جرحانا

وقال أيضاً كما في المصدر السابق جاعلاً الكفار إخواننا معتذراً إليهم عمن غزاهم من المسلمين:

فلرب إخوان غزوا إخوانا ... ولئن غزاكم من ذوينا معشر

(1) «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٨٢١).

٢-**أحمد كمال أبو المجد**: يكفي في ضلاله أن له مؤلفاً في هذا الباب هو «حوار لا مواجهة»[1].

٣-**أحمد بن محرم**: شاعر مصري تركي الأصل قال في أبيات له:

تفرقنا الأديان والله واحد ... وكل بني الدنيا إلى آدم انتمى
وساوس ظل الشرق فيها مصفدا ... فما يملك الشرقي أن يتقدما
بني الشرق لا يصرعكم الدين إنني ... أرى الغرب لولا الجد والعلم ما سما[2]

٤-**إسماعيل صبري**: شاعر مصري درس الحقوق بفرنسا يدعو إلى مؤاخاة النصارى، ومن شعره:

دين عيسى فيكم ودين أخيه ... أحمد يأمراننا بالإخاء
لا يكن بعضنا لبعض عدواً ... لعن الله مستبيحي العداء[3]

٥-**جمال البنا**: يدعو إلى وحدة الأديان، ويقول: إنه خير لا شر فيه. «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٥٦).

٦-**حافظ بن إبراهيم**: شاعر مصري قومي يلقب بشاعر النيل، قال في أبيات له:

متى أرى الشرق أدناه وأبعده ... عن مطمع الغرب فيه غير وسنان
لا فرق ما بين بوذي يعيش به ... ومسلم ويهودي ونصراني[4]

٧-**حسن بن إسماعيل بن عبيد**: يرفض بشدة نسخ الديانة اليهودية والنصرانية ويدعو إلى وحدة الأديان. انظر «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٤٩).

---

(1) انظر «أعلام وأقزام» (٢/ ١٥٥-١٥٦).

(2) «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٨٢١).

(3) انظر «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٨٢١).

(4) «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٨٢٢).

٨- **حسن الترابي**: سوداني، لا تستغرب لضلالاته؛ فإنه نال الدكتوراة من جامعة «السربون» الفرنسية، وأكثر من تخرجوا من هذه الجامعة من أبناء المسلمين زنادقة، والترابي ليس داعياً فحسب إلى مصافاة اليهود والنصارى ووحدة الأديان والديمقراطية وكفى بهذا ضلالاً ولكنه يدعو إلى الردة عن الإسلام ولا يرى أن من ارتد عنه مرتدا، وقد كفره غير واحد من العلماء ومنهم علامة اليمن شيخنا الوادعي رحمه الله.

٩- **خالد محمد خالد المصري**: صاحب كتاب «رجال حول الرسول» أحد دعاة وحدة الأديان يقول في كتابه «رجال حول الرسول»: (إلينا يا أصحاب العقائد في كل أمة وبلد، إلينا يا عشاق السمو من كل عصر وأمد، وأنتم يا من أثقلكم الغرور، وظننتم بالأديان والإيمان ظن السوء). وله كتاب «من هنا نبدأ» سلك فيه مسلك التخلص من الشريعة الإسلامية، والدعوة إلى السير حذو الغرب المنحل.

١٠- **رفاعة الطهطاوي**: مصري من أوائل الدعاة إلى إفساد المرأة، وهو أحد المبعوثين إلى فرنسا للتعلم، فبقي خمس سنين، ففعلت به الأفاعيل، فرجع إلى مصر داعياً إلى أن يلحق المسلمون بالغرب، وداعياً إلى وحدة الأديان. انظر كتاب «التقارب الديني خطره- مراحله- آثاره» لأمين محمد حاج ص (٩-١١).

١١- **سعد غراب**: تونسي، كان عضواً في حق الأبحاث والحوار الإسلامي المسيحي. انظر كتاب: «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٦١).

١٢- **سعود نعمة المولى**: لبناني له من المؤلفات «الحوار الإسلامي المسيحي» و«ضرورة المغامرة» انظر كتاب: «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٠٢).

١٣- **صبحي الصالح**: لبناني أعلن في محاضرة له أن الإسلام قد أقر مبدأ التقارب مع الأديان ثم قال: (فلا ريب أننا باسم هذا الدين نرحب بكل تقارب إسلامي مسيحي). «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٥٠).

١٤- **عبد العزيز الجاويش**: قال: (فهم المسيحية واجب على كل مسلم؛ بل الإيمان بها حتم عليه؛ إذ قبل أن يكون المرء مسلماً يجب أن يكون مسيحياً، فالإسلام بني أصلاً على المسيحية، كما بنيت المسيحية على الموسوية وهو بمثابة طبعة جديدة منهما)[1].

١٥- **عبد العزيز كامل**: قال: (ونحن... نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى وأقولها واضحة يستوي فيها هذا الإسلام والمسيحية واليهودية حتى الأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بإله واحد)[2].

١٦- **عبد اللطيف الغزالي**: من مؤلفاته «نظرات في الدين» قرر فيه أن اليهود والنصارى والصابئة مسلمون. انظر كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٤٦).

١٧- **عبد المجيد بن عزيز الزنداني**: حضر مؤتمر وحدة الأديان الذي عقد في السودان عام (١٤١٥هـ) الموافق (١٩٩٤م) وقد دعا الزنداني في كلمته التي ألقاها في هذا المؤتمر إلى ترك كره النصارى. وقال الزنداني في كتابه «توحيد الخالق» ص(١٠٤): (الإيمان بالكتب السابقة ينقي روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات وضد المؤمنين بالديانات ما داموا على الطريق الصحيح)ا.هـ ومخالفات الزنداني للحق لا يفي بها إلا مؤلفات كبار.

١٨- **فهمي هويدي**: لقد كثر دفاعه وتفانيه في ذلك عن اليهود والنصارى حتى ألف في هذا الباب كتاباً بعنوان «مواطنون لا ذميون» سعى فيه لإلغاء الأحكام الشرعية المتعلقة باليهود والنصارى[3].

١٩- **كامل الشريف**: له من المؤلفات «مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي»[4].

٢٠- **مالك بن نبي**: من دعاة السلام العالمي[5].

---

(1) نقلاً من كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» ص(٤١١).

(2) «أعلام وأقزام» (٢/ ١٥٦).

(3) انظر «أعلام وأقزام» (٢/ ١٥٠-١٥٤)، و«دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٠٧).

(4) انظر كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٣١-٧٣٢).

(5) انظر كتاب «أعلام وأقزام» (٢/ ١٥٧).

٢١- **محمد أركون**: جزائري علماني متخرج من جامعة «السربون» الفرنسية، وكان رئيس قسم العلوم الإنسانية في جامعة باريس، ومن كتبه «الإسلام الأمس والغد» يدعو فيه إلى فهم القرآن والسنة بالمقاييس الغربية[1].

٢٢- **محمد أسد**: كان مستشرقاً نمساوياً فأسلم وألف كتابه «الإسلام على مفترق الطريق» الذي انتشر انتشاراً واسعاً في أوساط المسلمين، ثم تأثر بمحمد عبده المصري ثم تولى منصب ممثل حكومة باكستان في الأمم المتحدة، وقد ظهرت منه أمور خطيرة ومنها دعوته إلى الذوق الغربي. انظر كتاب «أعلام وأقزام» (٢/ ١٧١-١٨١).

٢٣- **محمد إقبال**: من كتبه «تجديد الفكر الديني في الإسلام» دعا فيه المسلمين إلى سرعة التوجه إلى الغرب الكافر، وله كلمات شنيعة في العقيدة وغيرها، وقد أشار إليها الدكتور العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ٢٩١-٣٣١).

٢٤- **محمد الغزالي الأزهري**: هو من الدعاة إلى وحدة الأديان، قال في كتابه «من هنا نعلم» ص(٦٦): (إننا نحب أن نمد أيدينا وأن نفتح آذاننا وقلوبنا إلى كل دعوة تؤاخي بين الأديان وتقرب بينها وتنـزع من قلوب أتباعها أسباب الشقاق ...). وبوائق الغزالي كثيرة قد سطرها العلماء في كتب ردودهم عليه، ومنهم العلامة الشيخ/ ربيع بن هادي المدخلي في كتابه «كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها».

٢٥- **محمد الطالبي**: تونسي له من المؤلفات في مناصرة اليهود والنصارى «الإسلام والحوار»[2].

٢٦- **محمد بن حسين فضل الله**: من علماء الشيعة ويعد المرجع الكبير لحزب الله في لبنان، له من المؤلفات في الدعوة إلى مصافاة اليهود والنصارى «الحوار في القرآن»، «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي»[3].

٢٧- **محمد بن سعيد العشماوي**: يصرح بأن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً[4].

---

(1) انظر كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٦٤-٧٦٦).

(2) انظر كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٥٧).

(3) انظر كتاب: «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٩٨).

(4) انظر كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٤٥).

٢٨- **محمد بن عمارة بن مصطفى**: مصري عقلاني فيه نزعة علمانية، له مؤلفات كثيرة تقطر سماً، ومن ذلك «الإسلام والوحدة الوطنية» دافع فيه حتى عن المجوس، ويرفض تقسيم الناس إلى مؤمنين وكفار ويجعل الإسلام علمانياً، وقد رد عليه غير واحد من العلماء، وقد توسع العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (٢/ ١٨٥-٢٩٠) في ذكر مخازيه وضلالاته.

٢٩- **محمد بن مهدي شمس الدين**: يرى أنه لا يحتاج إلى حوار مع اليهود والنصارى؛ لأنهم على ملة إبراهيم مؤمنون بالنبوة العامة وباليوم الآخر[1].

٣٠- **محمود أبو رية**: بلغت به الجراءة المضلة إلى أن ألف كتاباً بعنوان «دين الله واحد» وهو مبتلىً بالتقليد لحاملي لواء الحقد والطعن في الإسلام ألا وهم المستشرقون فقد ألف كتابه «أضواء على السنة» واعتمد عليهم قبل غيرهم فجاء بالطوام، وقد رد عليه أكثر من خمسة عشر عالماً.

٣١- **يوسف الحسن**: له من المؤلفات «الحوار الإسلامي المسيحي» و«الفرص والتحديات»[2].

---

(1) انظر كتاب «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٧٣٧).

(2) انظر كتاب: «دعوة التقريب بين الأديان» (٢/ ٦٧٤).

الخاتمة

تم بحمد الله وتوفيقه ما أردت ذكره في هذه الرسالة، والله أسأل أن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
الكلمة الخامسة: قوله: (ووقف ضد الحرب على العراق)	١١
الكلمة السادسة: قوله: (ووقف أيضاً ضد إقامة الجدار العازل في الأرض الفلسطينية وأدان اليهود في ذلك).	١١
الكلمة السابعة: قوله: (لا نستطيع إلا أن ندعو الله أن يرحمه).	١٢
الكلمة الثامنة: قوله في دعائه للبابا: (ويثيبه بقدر ما قدم من خير للإنسانية وما خلق من عمل صالح أو أثر طيب).	١٤
الكلمة التاسعة: قوله: (وأسأل الله أن يعوض الأمة المسيحية فيه خيراً).	١٦
الكلمة العاشرة: ذكر القرضاوي النصارى في مقاله هذا بلفظ: (المسيحيين) في أكثر من ست مرات ولم يذكرهم مرة واحدة بلفظ (النصارى).	١٦
جهل القرضاوي بالقواعد التي يسير عليها النصارى أو تجاهله لها.	١٧
نصارى العرب يتآمرون على مصر وغيرها والقرضاوي يرى أنهم ليسوا حربيين	١٨
القرضاوي يزعم أن المسلمين والنصارى إخوة.	٢٠
القرضاوي يحكم لليهود والنصارى بأنهم مسلمون بالحضارة.	٢٢
القرضاوي يسويّ بين إيمان المسلمين وإيمان اليهود والنصارى في الجملة:	٢٤
القرضاوي يدعو إلى محبة اليهود والنصارى:	٢٧
القرضاوي يدعو المسلمين إلى نزع العداوة والبغضاء من قلوبهم على اليهود والنصارى	٢٩
دعوى القرضاوي أن القرآن يركز على مواضع الاتفاق مع اليهود والنصارى	٣٢
تسامح القرضاوي مع اليهود والنصارى وشدته على أهل السنة والجماعة:	٣٨
القرضاوي يهنئ دولة اليهود ويتمنى أن يكون المسلمون مثل اليهود في الانتخابات	٤٠
القرضاوي يحضر مؤتمرات وحدة الأديان ويدعو إلى التقارب بين الإسلام واليهودية والنصرانية:	٤٢
القرضاوي يرى أن اليهود والنصارى أتباع إبراهيم الخليل، فلنلتق معهم في خندقٍ واحد:	٤٦
الدعوة إلى وحدة الأديان كفر عظيم	٤٧
الإسلام يدعو المسلمين إلى أن يكونوا أعزة على الكافرين:	٤٩
القرضاوي يزعم أن الجهاد ضد اليهود من أجل الأرض لا من أجل الإسلام:	٥١

دفاع القرضاوي عمن ينادون بالديمقراطية وأنهم لم يخطر ببالهم رفض أحكام شريعة الإسلام ٥٣
القرضاوي ينكر أن تكون الديمقراطية دسيسة على المسلمين ٥٤
القرضاوي يقرر فصل الدين عن الدولة..... ٥٥
القرضاوي يؤمن بقيام الأحزاب الكافرة وغيرها في ظل الدولة الإسلامية وأن وجودهم صمّام أمان: ٦٠
كلام أهل العلم في القرضاوي:..... ٦٨
حفظ الله للقرآن والسنة المطهرة من التحريف والتبديل..... ٧٠
أهمية دعوة الكفار إلى الإسلام بالضوابط الشرعية ٧٥
التحذير من القراءة في كتب المستشرقين وغيرها من كتب الضلال: ٧٧
نداء لجماعة الإخوان المسلمين..... ٨١
التحذير من الردة عن الإسلام ومن سبلها..... ٨١
شبهة وجوابها..... ٨٥
ملحق بأسماء مجموعة من الكتاب والدكاترة الواقعين في بعض ما وقع فيه القرضاوي..... ٨٧
الخاتمة..... ٩٤